تأليف
أبي عمرو
عبد الكريم بن أحمد الحجوري العمري

الإشفاق
ببيان
مصارع العشاق

تقديم
فضيلة الشيخ
ي عبد الرحمن يحيى بن علي الحجوري

٢١٠,٤
أ ٤٤

الإشفاق
ببيان
مصارع العشاق

جميع حقوق الملكية الأدبية و الفنية محفوظة للدار

الطبعة الأولى

دار الآثار

ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد
الكتاب كاملاً أو مجزأ أو تسجيله على أشرطة
كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته على
إسطوانات ضوئية إلا بموافقة خطية من الدار

١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م

رقم الإيداع القانوني : ٢٠٠٧/٩٤٤٥

دار الآثار

٢٨ ش منشية التحرير - جسر السويس - عين شمس الشرقية - القاهرة - ج.م.ع
ت وفاكس ٢٦٤٢٢٣٢٣ ت ٢٦٣٦٣٧٨٦

info@dar-alathar.com

مقدمة فضيلة الشيخ العلامة يحيى بن علي الحجوري
- حفظه الله -

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

أما بعد:

فرسالة: «**الإشفاق ببيان مصارع العشاق**»، لأخينا الشيخ الفاضل أبي عمرو عبد الكريم الحجوري: رسالة نافعة، جميلة، مفيدة في بابها؛ كما هو شأنه في رسائله وبحوثه؛ حيث يعتني فيها بالأدلة، والنقول الموثقة، وإبراز وجهة نظره المتحررة من ربقة التقليد؛ فجزاه الله خيرًا.

كتبه

أبو عبد الرحمن يحيى بن علي الحجوري

في شهر صفر ١٤٢٨هـ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

فعَنِ الزُّبَيرِ بنِ عَدِيٍّ قَالَ أَتَينَا أَنَسَ بنَ مَالِكٍ فَشَكَونَا إِلَيهِ مَا نَلقَى مِن الحَجَّاجِ فَقَالَ: «**اصبِرُوا فَإِنَّهُ لَا يَأتِي عَلَيكُم زَمَانٌ إِلَّا والَّذِي بَعدَهُ شَرٌّ مِنهُ حَتَّى تَلقَوا رَبَّكُم**» سَمِعتُهُ مِن نَبِيِّكُم -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-.

رواه البخاري برقم (٧٠٦٨).

فلا يأتي عام إلا والشر في ازدياد شديد، والحق في غربة أكثر، والمتمسكون الخُلَّص في المجتمع كالتبر الأحمر.

وقد ماجت الفتن وتلاطمت كموج البحر، لاسيما بعد موت عمر ﷺ.

عَن شَقِيقٍ قَالَ سَمِعتُ حُذَيفَةَ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِندَ عُمَرَ ﷺ، فَقَالَ: أَيُّكم يَحفَظُ قولَ رَسُولِ الله -صَلَّى اللهُ عَليهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- فِي الفِتنَةِ؟ قُلتُ: أَنَا كَمَا قَالَهُ. قَالَ: إِنَّكَ عَلَيهِ أَو عَلَيهَا لَجَرِيءٌ، قُلتُ: «**فِتنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهلِهِ، وَمَالِهِ، وَوَلَدِهِ، وَجَارِهِ، تُكَفِّرُهَا الصَّلَاةُ، وَالصَّومُ، وَالصَّدَقَةُ، وَالأَمرُ وَالنَّهيُ**».

قَالَ: لَيسَ هَذَا أُرِيدُ، وَلَكِن الفِتنَةُ الَّتِي تَمُوجُ كَمَا يَمُوجُ البَحرُ، قَالَ: لَيسَ عَلَيكَ مِنهَا بَأسٌ يَا أَمِيرَ المُؤمِنِينَ إِنَّ بَينَكَ وَبَينَهَا بَابًا مُغلَقًا. قَالَ: أَيُكسَرُ أَم يُفتَحُ؟ قَالَ: يُكسَرُ. قَالَ: إِذن لَا يُغلَقَ أَبَدًا.

قُلنَا: أَكَانَ عُمَرُ يَعلَمُ البَابَ؟ قَالَ: نَعَم كَمَا أَنَّ دُونَ الغَدِ اللَّيلَةَ، إِنِّي حَدَّثتُهُ بِحَدِيثٍ لَيسَ بِالأَغَالِيطِ.

فَهِبنَا أَن نَسأَلَ حُذَيفَةَ؛ فَأَمَرنَا مَسرُوقًا فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: البَابُ عُمَرُ.

رواه البخاري برقم (٥٢٥) ومسلم برقم (١٤٤).

ومن الفتن المدلهمة التي خافها رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم على أمته، فتنة النساء، فعَن أُسَامَةَ بنِ زَيدٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَليهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «**مَا تَرَكتُ بَعدِي فِتنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِن النِّسَاءِ**».

رواه البخاري برقم (٥٠٩٦) ومسلم برقم (٢٧٤٠)، وعَن أَبِي سَعِيدٍ الخُدرِيِّ عَن النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَليهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «**إِنَّ الدُّنيَا حُلوَةٌ خَضِرَةٌ وَإِنَّ اللهَ مُستَخلِفُكُم فِيهَا فَيَنظُرُ كَيفَ تَعمَلُونَ؛ فَاتَّقُوا الدُّنيَا، وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتنَةِ بَنِي إِسرَائِيلَ كَانَت فِي النِّسَاءِ**». رواه مسلم برقم (٢٧٤٢).

فكم ضاع وماع من الشباب بسبب فتنة النساء، وكم جُنَّ وانحرف بعض الشباب بسبب فتنة النساء، ومنهم من ارتد مِن فتنة النساء -عياذًا بالله-.

كل ذلك بسبب مطاردة شهواتهم لهم، واتباع النفس هواها، والهوى (الهوين)!

قال البيحاني رَحِمَهُ اللَّهُ في «إصلاح المجتمع» (ص٢٤٣):

وقد يكون عبدًا صالحًا، ورجلاً تقيًّا أتبع نفسه هواها، وملأ عينيه بمناها، فذل بعد العز، وفسق بعد العفة، ونقص بعد الكمال، ونسي قول رسول الله ﷺ: «**كُتِبَ على ابنِ آدمَ نَصِيبُهُ مِنَ الزنا، مُدرِكٌ ذلكَ لا محالةَ، فالعينان زناهما النظرُ، والأذنان زناهما الاستماعُ، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرِّجلُ زناها الخُطَا، والقلب يهوى ويتمنى، ويصدق ذلك الفرج ويكذبه**»[(١)].

ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه، ورُبَّ إنسان مَدَّ له الشيطان حبال الفتنة، وصرف وجهه تلقاء امرأة أجنبية، والنساء حبائل الشيطان، فنسي الدين والتقوى، وأصبح ينشد فيه الواعظ قول مسكين الدارمي:

قل للمليحة في الخمار الأسود
ماذا فعلت بناسك متعبد
قد كان شمر للصلاة ثيابه
حتى عرضت له بباب المسجد
ردي عليه صلاته وصيامه
لا تفتنيه بحق دين محمد

اهـ كلام البيحاني.

---

(١) رواه البخاري برقم (٦٦١٢)، ومسلم برقم (٢٦٥٧)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وكما قال الآخر:

نظـــــرة فابتســــــامة فســــــلام

فكــــــلام فمـــــوعد فلقـــــاء

فعند ذلك يقع الحب الكاذب، والود المزيف، وتتوق النفوس للقاء بعض، ويحصل التواعد عن طريق الجرارات والجرارين، ولقي شيطان إنسي شيطانة إنسية، وماذا نتوقع من هذا اللقاء الفاجر الغادر، والخائن إلا ذبح الفضيلة، ونشر الرذيلة، ونزع الحياء، وهتك الأعراض، وخلع جلباب العفة، فتقع الفاحشة، وتذهب الكرامة والعزة، ويقع الذل والهوان والمعصية.

ولما رأيت الواقعين في مستنقع الرذيلة، وَهوَّةِ الفاحشة؛ بسبب العشق المقيت؛ رأيت أن أكتب نصيحة للمسلمين[١] للواقع المرير؛ الذي يعيشه طائفة من المجتمع، كحياة البهائم: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤]، فربما رأى المخدوع امرأة وهي في شأنها فظنها تشير إليه، فإذا شاع غرامه بها؛ وقعت هي الأخرى في شباكه فعشقته، فيا ويله منها، ويا ويحها منه.

فجمعت الذي تراه، وكثير منه نقلاً عن ابن القيم[٢] أوغيره، عسى أن يكون زجرًا للتائه، وتنبيهًا للغافل، والله من وراء القصد.

---

(١) لاسيما وقد كنت كتبت كتابًا بعنوان: «تحذير أولياء الأمور من خطر المغالاة في المهور» نصحت فيه أولياء الأمور بتخفيف المهور، وحذرتهم من مَغَبَّةِ التمادي في غلاء المهر؛ بما تراه في طيات الكتاب.

(٢) لاسيما في كتابيه «روضة المحبين» و«الداء والدواء»، وقد نقلت عن غيرهما، لكن نقلت عن هذين الكتابين أكثر.

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ في صيد الخاطر (ص٢٦٨-٢٦٩):

فصل خداع الشهوات

أكثر شهوات الحس النساء، وقد يرى الإنسان امرأة في ثيابها فيتخايل له أنها أحسن من زوجته، أو يتصور بفكره المستحسنات وفكره لا ينظر إلا إلى الحسن من المرأة، فيسعى في التزوج والتسري.

فإذا حصل له مراده لم يزل ينظر في عيوب الحاصل التي ما كان يتفكر فيها فيمل ويطلب شيئاً آخر.

ولا يدري أن حصول أغراضه في الظاهر ربما اشتمل على محن، منها: أن تكون الثانية لا دين لها أو لا عقل أو لا محبة لها أو لا تدبير فيفوت أكثر مما حصل.

وهذا المعنى هو الذي أوقع الزناة في الفواحش، لأنهم يجالسون المرأة حال استتار عيوبها عنهم وظهور محاسنها، فتلذ لهم تلك الساعة، ثم ينتقلون إلى أخرى.

فليعلم العاقل أن لا سبيل إلى حصول مراد تام كما يريد: ﴿وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢٦٧]، وما عيب نساء الدنيا بأحسن من قوله ﷻ : ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥].

وذو الأنفة يأنف من الوسخ صورة، وعيب الخلق معنى.

فليقنع بما باطنه الدين، وظاهره الستر والقناعة، فإنه يعيش مرفه السر، طيب القلب، ومتى ما استكثر، فإنما يستكثر من شغل قلبه ورقة دينه.اهـ.

كتبه

أبو عمرو

عبد الكريم بن أحمد بن حسين الحجوري العمري

بمكتبة دار الحديث بدماج -حرسها الله-

١٠/ رجب/ ١٤٢٧هـ

تعريف العشق

العِشقُ: فرط الحب، وقيل: هو عُجب المحب بالمحبوب، يكون في عَفافِ الحُبّ ودَعارته؛ عَشِقَه يَعشَقُه عِشقاً و عَشَقاً و تَعَشَّقَهُ، وقيل: التَّعَشُّقُ: تكلّف العِشقِ، وقيل: العِشقُ الاسم، والعَشَقُ المصدر؛ قال رؤبة:

ولم يُضِعها بينَ فِركٍ وعَشَق

ورجل عاشِقٌ من قوم عُشَّاقٍ، و عِشِّيقٌ -مثالُ فِسِّيقٍ-: كثير العِشقِ. وامرأة عاشِقٌ، بغير هاء، و عاشِقةٌ.

والعَشَقُ والعَسَقُ -بالشين والسين المهملة-: اللزوم للشيء لا يفارقه، ولذلك قيل للكَلِفِ: عاشِق؛ للزومه هواه. والمَعشَقُ: العِشقُ؛ قال الأعشى:

وما بيَ مِن سُقمٍ وما بيَ مَعشَق

وسئل أبو العباس أحمد بن يحيى عن الحُبّ والعِشقِ: أيهما أحمد؟ فقال: الحُب لأن العِشقَ فيه إفراط، وسمي العاشِقُ عاشقاً لأنه يَذبُلُ من شدة الهوى كما تَذبُل العَشَقَةُ إذا قطعت، والعَشَقَةُ: شجرة تخضَرُّ ثم تَدِقُّ وتَصفَرُّ. اهـ من لسان العرب لابن منظور(٩/ ٢٢٤).

قال أبو هلال العسكري في الفروق اللغوية (ص١٤٠):

والعشق أيضا هو الشهوة التي إذا أفرطت وامتنع نيل ما يتعلق بها، قتلت صاحبها، ولا يقتل من الشهوات غيرها؛ ألا ترى أن أحدًا لم يمت من شهوة الخمر، والطعام، والطيب، ولا من محبة داره، أو ماله، ومات خلق كثير من شهوة الخلوة مع المعشوق والنيل منه. اهـ.

وقال ابن القيم في روضة المحبين (ص١٢١):

(فالذي عليه الأطباء قاطبة أنه مرض وسواسي شبيه بالماليخوليا، يجلبه المرء إلى نفسه بتسليط فكره على استحسان بعض الصور والشمائل.

وسببه النفساني: الاستحسان، والفكر.

وسببه البدني: ارتفاع بخار رديء إلى الدماغ عن مني محتقن، ولذلك أكثر ما يعتري العزاب، وكثرة الجماع تزيله بسرعة. اهـ

* * *

أسماء العشق

أسماء العشق كثيرة منها:

قال ابن القيم في روضة المحبين (ص٢٢):

(وضعوا له قريبًا من ستين اسمًا، وهي: المحبة، والعلاقة، والهوى، والصبوة، والصبابة، والشغف، والمقة، والوجد، والكلف، والتيم، والعشق، والجوى، والدنف، والشجو، والشوق، والخلابة، والبلابل، والتباريح، والسدم، والغمرات، والوهل، والشجن، واللاعج، والاكتئاب، والوصب، والحزن، والكمد، واللذع، والحرق، والسهد، والأرق، واللهف، والحنين، والاستكانة، والتبالة، واللوعة، والفتون، والجنون، واللمم، والخبل، والرسيس، والداء المخامر، والود، والخلة، والخلم، والغرام، والهيام، والتدلية، والوله، والتعبد.

وقد ذكر له أسماء غير هذه وليست من أسمائه وإنما هي من موجباته وأحكامه فتركنا ذكرها. اهـ

وقال ابن أبي العز في شرح الطحاوية (ص١٦٥):

والمحبة مراتب :

أولها: العلاقة: وهي تعلق القلب بالمحبوب.

والثانية: الإرادة: وهي ميل القلب إلى محبوبه وطلبه له.

الثالثة: الصبابة: وهي انصباب القلب إليه بحيث لا يملكه صاحبه كانصباب الماء في الحدور .

الرابعة: الغرام: وهي الحب اللازم للقلب، ومنه الغريم لملازمته، ومنه: ﴿إِنَّ

عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان:٦٥].

الخامسة: المودة والود: وهي صفو المحبة، وخالصها ولبها قال تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ [مريم:٩٦].

السادسة: الشغف: وهي وصول المحبة إلى شغاف القلب.

السابعة: العشق: وهو الحب المفرط لذي يخاف على صاحبه منه، ولكن لا يوصف به الرب تعالى، ولا العبد في محبة ربه -وإن كان قد أطلقه بعضهم- واختلف في سبب المنع؛ فقيل: عدم التوقيف وقيل غير ذلك ولعل امتناع إطلاقه أن العشق محبة مع شهوة.

الثامنة: التيم: وهو بمعنى التعبد .

التاسعة: التعبد.

العاشرة: الخلة: وهي المحبة التي تخللت روح المحب وقلبه. وقيل في ترتيبها غير ذلك وهذا الترتيب تقريب حسن لا يعرف حسنه إلا بالتأمل في معانيه. اهـ

وبعض هذه الأسماء بينها بعض التباين في بعض الأمور وتتفق في البعض الآخر.

* * *

وجوب غض البصر عن الحرام وتحريم النظر إليه

قَالَ اللهُ -جَلَّ فِي عُلاهُ-: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور:٣٠-٣١].

وفي صحيح البخاري بر قم(٦٢٤٣) ومسلم برقم(٦٢٥٧) عَن أَبِي هُرَيرَةَ عَن النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَليهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-: «**إِنَّ اللهَ كَتَبَ عَلَى ابنِ آدَمَ حَظَّهُ مِن الزِّنَا أَدرَكَ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ، فَزِنَا العَينِ النَّظَرُ، وَزِنَا اللسَانِ المَنطِقُ، وَالنَّفسُ تَمَنَّى وَتَشتَهِي، وَالفَرجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ كُلَّهُ وَيُكَذِّبُهُ**».

وفي صحيح مسلم برقم(٢١٥٩) عَن جَرِيرِ بنِ عَبدِ اللهِ قَالَ سَأَلتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَليهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عَن نَظَرِ الفُجَاءَةِ؛ فَأَمَرَنِي أَن أَصرِفَ بَصَرِي. وعَن جَابِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَليهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- رَأَى امرَأَةً فَأَتَى امرَأَتَهُ زَينَبَ وَهِيَ تَمعَسُ مَنِيئَةً لَهَا فَقَضَى حَاجَتَهُ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى أَصحَابِهِ فَقَالَ: «**إِنَّ المَرأَةَ تُقبِلُ فِي صُورَةِ شَيطَانٍ، وَتُدبِرُ فِي صُورَةِ شَيطَانٍ، فَإِذَا أَبصَرَ أَحَدُكُم امرَأَةً؛ فَليَأتِ أَهلَهُ فَإِنَّ ذَلِكَ يَرُدُّ مَا فِي نَفسِهِ**». رواه مسلم برقم (١٤٠٣).

وحرم الله النظر إلى النساء الأجنبيات لما في ذلك من الفتنة بهن ، ولهن، ففي صحيح البخاري برقم (٥٠٦٩) ومسلم برقم (٢٧٤٠) عَن أُسَامَةَ بنِ زَيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا عَن النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عليهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- قَالَ:« مَا تَرَكتُ بَعدِي فِتنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِن النِّسَاءِ».

وما جعل الله الاستئذان إلا من أجل البصر:

روى البخاري برقم (٦٢٤١) ومسلم(٢١٥٦) عَن سَهلِ بنِ سَعدٍ قَالَ اطَّلَعَ رَجُلٌ مِن جُحرٍ فِي حُجَرِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَليهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-، وَمَعَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَليهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- مِدرًى يَحُكُّ بِهِ رَأسَهُ فَقَالَ:« لَو أَعلَمُ أَنَّكَ تَنظُرُ لَطَعَنتُ بِهِ فِي عَينِكَ، إِنَّمَا جُعِلَ الاستِئذَانُ مِن أَجلِ البَصَرِ».

وَعَن أَنَسِ بنِ مَالِكٍ: أَنَّ رَجُلًا اطَّلَعَ مِن بَعضِ حُجَرِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَليهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-، فَقَامَ إِلَيهِ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَليهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- بِمِشقَصٍ أَو بِمَشَاقِصَ، فَكَأَنِّي أَنظُرُ إِلَيهِ يَختِلُ الرَّجُلَ لِيَطعُنَهُ.

رواه البخاري برقم(٦٢٤٢) ومسلم برقم(٢١٥٧).

وَعَن أَبِي هُرَيرَةَ، قَالَ قَالَ أَبُو القَاسِمِ -صَلَّى اللهُ عَليهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-: «لَو أَنَّ امرَأً اطَّلَعَ عَلَيكَ بِغَيرِ إِذنٍ فَخَذَفتَهُ بِعَصَاةٍ؛ فَفَقَأتَ عَينَهُ لَم يَكُن عَلَيكَ جُنَاحٌ».

رواه البخاري برقم(٦٩٠٢) ومسلم برقم(٢١٥٨).

قال ابن القيم في روضة المحبين (ص٨٧-٩٤):

وفي غض البصر عدة فوائد:

أحدها: تخليص القلب من ألم الحسرة، فإن من أطلق نظره دامت حسرته فأضر شيء على القلب إرسال البصر، فإنه يريه ما يشتد طلبه ولا صبر له عنه ولا وصول

له إليه وذلك غاية ألمه وعذابه. قال الأصمعي:

رأيت جارية في الطواف كأنها مهاة فجعلت أنظر إليها وأملأ عيني من محاسنها، فقالت لي يا هذا ما شأنك؟ قلت: وما عليك من النظر؟ فأنشأت تقول:

وكنت متىٰ أرسلت طرفك رائدًا لقلبك يومًا أتعبتك المناظر
رأيت الذي لا كله أنت قادر عليه ولا عن بعضه أنت صابر

والنظرة تفعل في القلب ما يفعل السهم في الرمية، فإن لم تَقْتُلْه جَرَحَتْه، وهي بمنزلة الشرارة من النار ترمى في الحشيش اليابس فإن لم يحرقه كله أحرقت بعضه، كما قيل:

كل الحَوادث مبداها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر
كم نظرة فتكت في قلب صاحبها فتك السهام بلا قوس ولا وتر
والمرء ما دام ذا عين يقلبها في أعين الغيد موقوف علىٰ الخطر
يسر مقلته ما ضر مهجته لا مرحبًا بسرور عاد بالضرر

والناظر يرمي من نظره بسهام غرضها قلبه وهو لا يشعر، فهو إنما يرمي قلبه ولي من أبيات:

يا راميًا بسهام اللحظ مُجتهدًا أنت القتيل بما ترمي فلا تصب
وباعث الطرف يرتاد الشفاء له توقه إنه يأتيك بالعطب

وقال الفرزدق:

تزود منها نظرة لم تدع له فؤادًا ولم يشعر بما قد تزودا

فلم أرَ مقتولاً ولم أر قاتلاً بغير سلاح مثلها حين أقصدا

وقال آخر:

ومن كان يؤتىٰ من عدو وحاسد فإني من عيني أتيت ومن قلبي

هما اعتوراني نظرة ثم فكرة فما أبقيا لي كل من رقاد ولا لب

وقال آخر:

رماني بها طرفي فلم تخط مقلتي وما كل من يرمىٰ تصاب مقاتله

إذا مت فابكوني قتيلاً لطرفه قتيل صديق حاضر ما يزايله

وقال ابن المعتز:

متيم يرعىٰ نجوم الدجىٰ يبكي عليه رحمة عاذله

عيني أشاطت بدمىٰ في الْهَوىٰ فابكوا قتيلاً بعضه قاتله

ومثله للمتنبي:

وأنا الذي اجتلب المنية طرفه فمن المطالب والقتيل القاتل

وقال أيضًا:

يا نظرة نفت لرقاد وغادرت في حد قلبي ما بقيت فلولا

كانت من الكحلاء سؤلي وإنما أجلي تمثل في فؤادي سولا

وقال أيضًا:

وقي الأمير من العيون فإنه ما لا يزول ببأسه وسخائه

يستأسر البطل الكمي بنظرة ويحول بين فؤاده وعزائه

وقال الصوري:

إذا أنت لم ترع البروق اللوامحا ... ونمت جرىٰ من تحتك السيل سائحا

غرست الهوىٰ باللحظ ثم احتقرته ... وأهملته مستأنسًا متسامحا

ولم تدر حتىٰ أينعت شجراته ... وهبت رياح الوجد فيه لواقحا

فأمسيت تستدعي من الصبر عازبًا ... عليك وتستدني من النوم نازحا

ودخل أصبهانَ مغنٍّ فكان يتغنى بهذين البيتين:

سماعًا يا عباد الله مني ... وكفوا عن ملاحظة الملاح

فإن الحب آخره المنايا ... وأوله شبيه بالمزاح

وقال آخر:

وشادن لما بدا ... أسلمني إلىٰ الردىٰ

بظرفه ولطفه ... وطرفه لما بدا

أردت أن أصيده ... فصاد قلبي وعدا

وقال آخر يعاتب عينه:

والله يا بصري الجَاني علىٰ جسدي ... لأطفئن بدمعي لوعة الحزن

تالله تطمع أن أبكي هوىٰ وضنىٰ ... وأنت تشبع من غمض ومن وسن

هيهات حتىٰ ترىٰ طرفًا بلا نظر ... كما أرىٰ في الْهَوىٰ شخصًا بلا بدن

وقال آخر:

يا من يرىٰ سقمي يزيد ... وعلتي أعيت طبيبي

لا تعجبين فهكذا تجني العيون على القلوب

وقال آخر:

لواحظنا تجني ولا علم عندنا وأنفسنا مأخوذة بالجرائر

ولم أرَ أغبى من نفوس عفائف تصدق أخبار العيون الفواجر

ومن كانت الأجفان حجاب قلبه أذن على أحشائه بالفواقر

وقال آخر:

ومستفتح باب البلاء بنظرة تزود منها قلبه حسرة الدهر

فوالله ما تدري أيدري بما جنت على قلبه أم أهلكته وما يدري

وقال آخر:

أنا ما بين عدوين هما قلبي وطرفي

ينظر الطرف ويهوى القلب والمقصود حتفي

وقال الخفاجي:

رمت عينها عيني وراحت سليمة فمن حاكم بين الكحيلة والعبرى

فيا طرف قد حذرتك النظرة التي خلست فما راقبت نهيًا ولا زجرا

ويا قلب قد أرداك طرفي مرة فويحك لم طاوعته مرة أخرى

ولي من أبيات لعل معناها مبتكر:

ألم أقل لك لا تسرق ملاحظة فسارق اللحظ لا ينجو من الدرك

نصبت طرفي له لما بدا شركًا فكان قلبي أولى منه بالشرك

الفائدة الثانية: أنه يورث القلب نورًا وإشراقًا يظهر في العين، وفي الوجه، وفي الجوارح، كما أن إطلاق البصر يورثه ظلمة تظهر في وجهه، وجوارحه، ولهذا والله أعلم ذكر الله سبحانه آية النور في قوله تعالى الله: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [النور: ٣٥]، عقيب قوله: ﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ﴾ [النور: ٣٠]، وجاء الحديث مطابقًا لهذا حتى كأنه مشتق منه، وهو قوله: «**النظرة سهم مسموم من سهام إبليس فمن غض بصره عن محاسن امرأة أورث الله قلبه نورًا...**» الحديث[1].

الفائدة الثالثة: أنه يورث صحة الفراسة، فإنها من النور وثمراته وإذا استنار القلب صحت الفراسة لأنه يصير بمنزلةالمرآة المجلوة تظهر فيها المعلومات كما هي، والنظر بمنزلة التنفس فيها فإذا أطلق العبد نظرة تنفست نفسه الصعداء في مرآة قلبه فطمست نورها كما قيل:

مـرآة قلـبك لا تـريك صـلاحه والـنفس فـيها دائمـا تتـنفس

وقال شجاع الكرماني: من عمر ظاهره باتباع السنة، وباطنه بدوام المراقبة، وغض بصره عن المحارم، وكف نفسه عن الشهوات، وأكل من الحلال لم تخطيء فراسته.

وكان شجاع لا تخطيء له فراسة، والله ﷻ يجزى العبد على عمله بما هو من جنسه؛ فمن غض بصره عن المحارم عوضه الله ﷻ إطلاق نور بصيرته، فلما حبس بصره لله أطلق الله نور بصيرته، ومن أطلق بصره في المحارم حبس الله عنه بصيرته.

الفائدة الرابعة: أنه يفتح له طرق العلم وأبوابه، ويسهل عليه أسبابه، وذلك بسبب نور القلب، فإنه إذا استنار ظهرت فيه حقائق المعلومات، وانكشفت له بسرعة،

(١) الحديث ضعيف؛ في سنده عبد الرحمن بن إسحاق الواسطي ضعيف جدًّا، وعليه مدار الحديث، وتارة يرويه عن ابن مسعود كما عند الطبراني في الكبير(١٠/ ١٧٣ برقم١٠٣٦٢)، وتارة يرويه عن حذيفة كما في المستدرك (٤/ ٤٥٦) طبعة شيخنا مقبل رَحِمَهُ اللَّهُ.

ونفذ من بعضها إلى بعض، ومن أرسل بصره تكدر عليه قلبه وأظلم وانسد عليه باب العلم وطرقه.

الفائدة الخامسة: أنه يورث قوة القلب، وثباته، وشجاعته؛ فيجعل له سلطان البصيرة مع سلطان الحجة، وفي الأثر: إن الذي يخالف هواه يفرق الشيطان من ظله، ولهذا يوجد في المتبع لهواه من ذل القلب، وضعفه، ومهانة النفس وحقارتها، ما جعله الله لمن آثر هواه على رضاه.

قال الحسن: إنهم وإن هملجت بهم البغال؛ وطقطقت بهم البراذين، إن ذل المعصية لفي قلوبهم أبى الله إلا أن يذل من عصاه!

وقال بعض الشيوخ: الناس يطلبون العز بأبواب الملوك ولا يجدونه إلا في طاعة الله. ومن أطاع الله فقد والاه فيما أطاعه فيه، ومن عصاه فقد عاداه فيما عصاه فيه، وفيه قسط ونصيب من فعل من عاداه بمعاصيه، وفي دعاء القنوت: «إنه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت»[1].

الفائدة السادسة: أنه يورث القلب سرورًا وفرحة وانشراحًا أعظم من اللذة والسرور الحاصل بالنظر، وذلك لقهره عدوه بمخالفته ومخالفة نفسه وهواه.

وأيضًا فإنه لما كف لذته، وحبس شهوته لله، وفيها مسرة نفسه الأمارة بالسوء؛ أعاضه الله سبحانه مسرة، ولذة أكمل منها، كما قال بعضهم: والله للذة العفة أعظم من لذة الذنب. ولا ريب أن النفس إذا خالفت هواها أعقبها ذلك فرحًا وسرورًا، ولذة أكمل من لذة موافقة الهوى بما لا نسبة بينهما، وهاهنا يمتاز العقل من الهوى الفائدة السابعة أنه يخلص القلب من أسر الشهوة فإن الأسير هو أسير شهوته وهواه، فهو كما قيل:

(طليق برأي العين وهو أسير)، ومتى أسرت الشهوة، والهوى القلب تمكن

---

(١) رواه أحمد (١/ ٢٠٠) من حديث الحسن ﷺ، وهو حديث صحيح.

منه عدوه، وسامه سوء العذاب:

وصار كعصفورة في كف طفل يسومها حياض الردىٰ والطفل يلهو ويلعب

الفائدة الثامنة: أنه يسد عنه بابًا من أبواب جهنم فإن النظر باب الشهوة الحاملة على مواقعة الفعل، وتحريم الرب تعالى وشرعه حجاب مانع من الوصول، فمتى هتك الحجاب ضَرِيَ على المحظور، ولم تقف نفسه منه عند غاية، فإن النفس في هذا الباب لا تقنع بغاية تقف عندها، وذلك أن لذتها في الشيء الجديد، فصاحب الطارف لا يقنعه التليد، وإن كان أحسن منه منظرًا وأطيب مخبرًا، فغض البصر يسد عنه هذا الباب الذي عجزت الملوك عن استيفاء أغراضهم فيه .

الفائدةالتاسعة: أنه يقوي عقله، ويزيده، ويثبته، فإن إطلاق البصر وإرساله، لا يحصل إلا من خفة العقل وطيشه، وعدم ملاحظته للعواقب، فإن خاصة العقل ملاحظة العواقب، ومرسل النظر لو علم ما تجني عواقب نظره عليه، لما أطلق بصره.

قال الشاعر:

وأعقل الناس من لم يرتكب سببًا حتىٰ يفكر ما تجني عواقبه

الفائدة العاشرة: أنه يخلص القلب من سكر الشهوة، ورقدة الغفلة، فإن إطلاق البصر يوجب استحكام الغفلة عن الله والدار الآخرة، ويوقع في سكرة العشق، كما قال الله تعالى عن عشاق الصور: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر:٧٢]، فالنظرة كأس من خمر، والعشق: هو سكر ذلك الشراب، وسكر العشق أعظم من سكر الخمر، فإن سكران الخمر يفيق وسكران العشق قلما يفيق، إلا وهو في عسكر الأموات، كما قيل:

سُكْرانِ سُكْرُ هوًىٰ وسُكْرُ مُدامةٍ ومتىٰ إفاقةُ مَنْ بهِ سُكْرانِ؟

* * *

[فوائد غض البصر]

وفوائد غض البصر وآفات إرساله أضعاف أضعاف ما ذكرنا، وإنما نبهنا عليه تنبيهًا، ولاسيما النظر إلى من لم يجعل الله سبيلاً إلى قضاء الوطر منه شرعًا، كالمردان الحسان فإن إطلاق النظر إليهم: السم الناقع، والداء العضال.

وقد روى الحافظ محمد بن ناصر من حديث الشعبي مرسلًا قال: قدم وفد عبد القيس على النبي فيهم غلام أمرد ظاهر الوضاءة فأجلسه النبي وراء ظهره وقال: كانت خطيئة من مضى من النظر.

وقال سعيد بن المسيب: إذا رأيتم الرجل يحد النظر إلى الغلام الأمرد فاتهموه .وقد ذكر ابن عدي في كامله[1] من حديث بقية عن الوازع عن أبي سلمة عن أبي هريرة ﷺ قال نهى رسول الله أن يحد الرجل النظر إلى الغلام الأمرد .

وكان إبراهيم النخعي وسفيان الثوري وغيرهما من السلف ينهون عن مجالسة المردان. قال النخعي: مجالستهم فتنة، وإنما هم بمنزلة النساء.

وبالجملة فكم من مرسل لحظاته، رجع بجيش صبره مغلولًا ولم يقلع حتى تشحط بينهم قتيلًا .

اهـ كلام ابن القيم، وهو كلام نفيس.

* * *

(١) ذكره ابن عدي في الكامل(٧/ ٢٥٥٧-٢٥٥٨) في ترجمة الوازع بن نافع العقيلي الجزري، وهو متروك.

العفة

قَالَ اللهُ -جَلَّ ذِكرُهُ-: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾ [المؤمنون:١-٧].

وقال الله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور:٣٠-٣١].

وقال تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾ [التحريم:١٢].

وقال تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ وَلَا تُكْرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُواْ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَن

يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور:٣٣].

وقال ﷻ: ﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور:٦٠].

وعَن أَبِي هُرَيرَةَ ﷺ، عَن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَليهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « سَبعَةٌ يُظِلُّهُم اللهُ فِي ظِلِّهِ يومَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الإِمَامُ العَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي الله اجتَمَعَا عَلَيهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتهُ امرَأَةٌ ذَاتُ مَنصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخفَى حَتَّى لَا تَعلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَت عَينَاهُ».

رواه البخاري برقم (٦٦٠) ومسلم برقم (١٠٣١).

وعَن عَبدِ الله بنِ عُمَرَ ﷺ عَن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَليهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « بَينَمَا ثَلَاثَةُ نَفَرٍ يَمشُونَ أَخَذَهُم المَطَرُ فَأَوَوا إِلَى غَارٍ فِي جَبَلٍ، فَانحَطَّت عَلَى فَمِ غَارِهِم صَخرَةٌ مِن الجَبَلِ، فَانطَبَقَت عَلَيهِم فَقَالَ بَعضُهُم لِبَعضٍ: انظُرُوا أَعمَالًا عَمِلتُمُوهَا صَالِحَةً لله، فَادعُوا اللهَ بِهَا؛ لَعَلَّهُ يُفَرِّجُهَا عَنكُم، قَالَ أَحَدُهُم: اللهُمَّ إِنَّهُ كَانَ لِي وَالِدَانِ شَيخَانِ كَبِيرَانِ، وَلِي صِبيَةٌ صِغَارٌ كُنتُ أَرعَى عَلَيهِم، فَإِذَا رُحتُ عَلَيهِم حَلَبتُ فَبَدَأتُ بِوَالِدَيَّ أَسقِيهِمَا قَبلَ بَنِيَّ، وَإِنِّي استَأخَرتُ ذَاتَ يَومٍ فَلَم آتِ حَتَّى أَمسَيتُ فَوَجَدتُهُمَا نَامَا فَحَلَبتُ كَمَا كُنتُ أَحلُبُ فَقُمتُ عِندَ رُءُوسِهِمَا أَكرَهُ أَن أُوقِظَهُمَا، وَأَكرَهُ أَن أَسقِيَ الصِّبيَةَ وَالصِّبيَةُ يَتَضَاغَونَ عِندَ قَدَمَيَّ حَتَّى طَلَعَ الفَجرُ؛ فَإِن كُنتَ تَعلَمُ أَنِّي فَعَلتُهُ ابتِغَاءَ وَجهِكَ فَافرُج لَنَا فَرجَةً نَرَى مِنهَا السَّمَاءَ فَفَرَجَ اللهُ فَرَأَوا السَّمَاءَ.

وَقَالَ الآخَرُ: اللهُمَّ إِنَّهَا كَانَت لِي بِنتُ عَمٍّ أَحبَبتُهَا كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرِّجَالُ النِّسَاءَ، فَطَلَبتُ مِنهَا فَأَبَت عَلَيَّ حَتَّى أَتَيتُهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ فَبَغَيتُ حَتَّى جَمَعتُهَا فَلَمَّا وَقَعتُ

بَيْنَ رِجلَيهَا، قَالَت: يَا عَبدَ الله اتَّقِ اللهَ وَلَا تَفتَحِ الخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَقُمتُ؛ فَإِن كُنتَ تَعلَمُ أَنِّي فَعَلتُهُ ابتِغَاءَ وَجهِكَ فَافرُج عَنَّا فَرجَةً فَفَرَجَ .

وَقَالَ الثَّالِثُ: اللهُمَّ إِنِّي استَأجَرتُ أَجِيرًا بِفَرَقِ أَرُزٍّ؛ فَلَمَّا قَضَى عَمَلَهُ قَالَ: أَعطِنِي حَقِّي فَعَرَضتُ عَلَيهِ فَرَغِبَ عَنهُ، فَلَم أَزَل أَزرَعُهُ حَتَّى جَمَعتُ مِنهُ بَقَرًا وَرَاعِيَهَا، فَجَاءَنِي فَقَالَ: اتَّقِ اللهَ، فَقُلتُ: اذهَب إِلَى ذَلِكَ البَقَرِ وَرُعَاتِهَا فَخُذ، فَقَالَ: اتَّقِ اللهَ وَلَا تَستَهزِئ بِي. فَقُلتُ: إِنِّي لَا أَستَهزِئُ بِكَ فَخُذ فَأَخَذَهُ؛ فَإِن كُنتَ تَعلَمُ أَنِّي فَعَلتُ ذَلِكَ ابتِغَاءَ وَجهِكَ فَافرُج مَا بَقِيَ. فَفَرَجَ اللهُ».

رواه البخاري برقم(٢٣٣٣) ومسلم برقم (٢٧٤٣).

روى البخاري برقم (٢٩٤١) ومسلم برقم (١٧٧٣) من حديث أبي سفيان ﷺ في صفة دعوة النبي -صلى الله عليه وآله وسلم-، قال أبو سفيان: «يَقُولُ اعبُدُوا اللهَ وَحدَهُ وَلَا تُشرِكُوا بِهِ شَيئًا، وَاترُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُم، وَيَأمُرُنَا بِالصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالصِّدقِ، وَالعَفَافِ، وَالصِّلَةِ».

وَعَن أَبِي سَعِيدٍ الخُدرِيِّ ﷺ: أَنَّ نَاساً مِنَ الأَنصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم فَأَعطَاهُم ، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعطَاهُم ، حَتَّى نَفِدَ مَا عِندَهُ فَقَالَ :«مَا يَكُونُ عِندِي مِن خَيرٍ فَلَن أَدَّخِرَهُ عَنكُم ، وَمَن يَستَعفِف يُعِفَّهُ اللهُ ، وَمَن يَستَغنِ يُغنِهِ اللهُ ، وَمَن يَتَصَبَّر يُصَبِّرهُ اللهُ، وَمَا أُعطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيرًا وَأَوسَعَ مِنَ الصَّبرِ». رواه البخاري برقم (١٤٦٩) ومسلم برقم (١٠٥٣).

وفي صحيح مسلم برقم (١٠٥٤): عَن عَبدِ الله بنِ عَمرِو بنِ العَاصِ أَنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «قَد أَفلَحَ مَن أَسلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ».

وعَن أَبِي ذَرٍّ قَالَ رَكِبَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَليهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حِمَارًا وَأَردَفَنِي خَلفَهُ وَقَالَ: « يَا أَبَا ذَرٍّ أَرَأَيتَ إِن أَصَابَ النَّاسَ جُوعٌ شَدِيدٌ لَا تَستَطِيعُ أَن تَقُومَ مِن فِرَاشِكَ إِلَى مَسجِدِكَ كَيفَ تَصنَعُ؟» قَالَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعلَمُ.

قَالَ: « تَعَفَّف »، قَالَ يَا أَبَا ذَرٍّ .«أَرَأَيتَ إِن أَصَابَ النَّاسَ مَوتٌ شَدِيدٌ يَكُونُ البَيتُ فِيهِ بِالعَبدِ -يَعنِي: القَبرَ- كَيفَ تَصنَعُ؟» قُلتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعلَمُ. قَالَ: « اصبِر قَالَ يَا أَبَا ذَرٍّ أَرَأَيتَ إِن قَتَلَ النَّاسُ بَعضُهُم بَعضًا يَعنِي حَتَّى تَغرَقَ حِجَارَةُ الزَّيتِ مِن الدِّمَاءِ كَيفَ تَصنَعُ؟» .

قَالَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعلَمُ .قَالَ :«اقعُد فِي بَيتِكَ وَأَغلِق عَلَيكَ بَابَكَ. قَالَ: فَإِن لَم أُترَك؟ قَالَ: فَأتِ مَن أَنتَ مِنهُم فَكُن فِيهِم. قَالَ فَآخُذُ سِلَاحِي؟ قَالَ: «إِذَن تُشَارِكَهُم فِيمَا هُم فِيهِ وَلَكِن إِن خَشِيتَ أَن يَرُوعَكَ شُعَاعُ السَّيفِ فَأَلقِ طَرَفَ رِدَائِكَ عَلَى وَجهِكَ حَتَّى يَبُوءَ بِإِثمِهِ وَإِثمِكَ».

رواه الإمام أحمد (٥/ ١٤٩)، وهو حديث صحيح.وقد صححه شيخنا الإمام الوادعي رَحِمَهُ اللهُ في الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين (١/ ٢١٣-٢١٤).

واعلم: أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك.

فكن على إيمان بالقدر: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾ [النحل:١٢٨].

وأضرب لك مثالًا بعفة يوسف عليه السلام مع ضروب المغريات للوقوع في الفاحشة وهي كما يلي:

١- ما ركَّب الله سبحانه في طبع الرجل من ميله إلى المرأة، كما يميل العطشان إلى الماء، والجائع إلى الطعام، حتى إن كثيرًا من الناس يصبر عن الطعام والشراب،

ولا يصبر عن النساء، وهذا لا يذم إذا وافق حلالًا؛ بل يحمد.

٢- أن يوسف ﷺ كان شابًا، وشهوة الشباب وحدته أقوى.

٣- أنه كان عزبًا، لا زوجة له ولا سرية تكسر شدة شهوته.

٤- أنه كان في بلاد غربة، ويتأتى للغريب فيها من قضاء الوطر ما لا يتأتى لغيره في وطنه، وبين أهله ومعارفه، ومع ذلك تعفف.

٥- أن المرأة كانت ذات منصب وجمال، بحيث أن كل واحد من هذين الأمرين يدعو إلى مواقعتها.

٦- أنها غير أبية ولا ممتنعة، وهذا مما يضاعف الرغبة في النساء عند أكثر الناس.

٧- أنها هي التي طلبت وأرادت وبذلت الجهد، فكفته مؤنة الطلب، وذل الرغبة إليها، بل كانت هي الراغبة الذليلة، وهو العزيز المرغوب.

٨- أنه في دارها، وتحت سلطانها وقهرها، بحيث يخشى إن لم يطاوعها من أذاها له، فاجتمع داعي الرغبة والرهبة.

٩- أنه لا يخشى أن تنمي عليه هي، ولا أحد من جهتها.

١٠- أنها قد غلقت الأبواب، وغيبت الرقباء؛ بحيث لا يطلع عليهما أحد من البشر.

١١- أنه كان مملوكًا في دارها؛ بحيث يدخل ويخرج ويحضر معها ولا ينكر عليه، وكان الأُنس سابقًا على الطلب، وهو من أقوى الدواعي، كما قيل لامرأة من العرب: ما حملك على كذا؟

قالت: قرب الوساد، وطول السواد، تعني: قرب وساد الرجل من وسادتي، وطول السواد بيننا.

١٢- استعانتها عليه بصاحبات المكر والاحتيال، فأرته إياهن، وشكت حالها إليهن، لتستعين بهن عليه، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ﴾ [يوسف: ٣٠-٣٢].

فاستعان عليهن بالله، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [يوسف:٣٣].

١٣- أنها توعدته بالسجن والصغار، وهذا نوع إكراه، فهو تهديد ممن يقدر على إيقاع الشر به.

١٤- أن الزوج لم يظهر من الغيرة شيئًا.

١٥- أن الزوج لم يفرق بينهما[1].

١٦- كيفية طلبها، إذ كان بتلهف ورغبة شديد: ﴿هَيْتَ لَكَ﴾.

١٧- الهم الذي خطر بنفس يوسف عليه السلام، وهذا لا يؤاخذ عليه، لأنه لم ينفذ منه شيئًا.

١٨- فراره وهروبه منها، واتباعها له، تريد منه أن يفعل الفاحشة.

١٩- شكواها به إلى سيدها بعكس القضية، كل ذلك مكر به حتى يفعل ما تريد منه.

---

(١) راجع «روضة المحبين» (ص٢٦١-٢٦٤)، و «الداء والدواء» (ص٣١٩-٣٢٢) للإمام ابن القيم و «تفسير القاسمي» (٩/ ٢٣٩-٢٤١).

٢٠- طلب أولئك النسوة من يوسف ما طلبته منه امرأة العزيز، كما قال الله تعالى: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [يوسف: ٥١].

* * *

وجوب الصبر عن الحرام

إن الصبر عن الحرام من الضروريات بل من الواجبات، ومن لا يحالفه الصبر عن الحرام، رتع فيه ، قَالَ اللهُ -جَلَّ فِي عُلَاهُ- فِي مُحكَمِ التنزيل: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَـٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [الأنفال:٤٦]، والذي ما يصبر عن الحرام، يصبر على النار -عياذًا بالله-، قال تعالى: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ [البقرة:١٧٥].

وقال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم:٦٠]، وقال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف:٢٨].

فالصبر طريق النجاح ، والفوز والفلاح قال الله تعالى عن لقمان وهو يوصي ولده بالصبر: ﴿يَـٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [لقمان:١٧]، وَقَالَ اللهُ -جَلَّ فِي عُلَاهُ-: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة:٢٤].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ كما في مجموع الفتاوى(٣/ ٣٥٨):

(فالصبر واليقين بهما تنال الإمامة في الدين). اهـ

وفي سنن أبي داود برقم(٤٢٦٣) عَنِ المِقدَادِ بنِ الأَسوَدِ قَالَ ايمُ الله لَقَد سَمِعتُ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: «إِنَّ السَّعِيدَ لَمَن جُنِّبَ الفِتَنَ، إِنَّ السَّعِيدَ

لَمَن جُنِّبَ الفِتَنِ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَن جُنِّبَ الفِتَنُ، وَلَمَن ابتُلِيَ فَصَبَرَ فَوَاهًا». أي فوا عجبًا له.

هذا حديث حسن.

قال الإمام ابن قيم الجوزية في عدة الصابرين (ص٥٦-٥٧):

الفرق بين صبر الكرام وصبر اللئام:

كل أحد لابد أن يصبر على بعض ما يكره، إما اختياراً، وإما اضطراراً؛ فالكريم يصبر اختياراً لعلمه بحسن عاقبة الصبر، وأنه يحمد عليه ويذم على الجزع، وأنه إن لم يرد الجزع عليه فائتًا ولم ينزع منه مكروهاً، وأن المقدور لا حيلة في دفعه وما لم يقدر لا حيلة في تحصيله فالجزع ضره أقرب من نفعه، قال بعض العقلاء:

العاقل عند نزول المصيبة يفعل ما يفعله الأحمق بعد شهر، كما قيل:

وأن الأمــر يفضــى إلــى آخــر ... فيصــــــير آخــــــره أولاً

فإذا كان آخر الأمر الصبر والعهد غير محمود فما أحسن به أن يستقبل الأمر في أوله بما يستدبره الأحمق في آخره.

وقال بعض العقلاء: من لم يصبر صبر الكرام سلا سلو البهائم.

فالكريم ينظر إلى المصيبة فإن رأى الجزع يردها ويدفعها فهذا قد ينفعه الجزع، وإن كان الجزع لا ينفعه فإنه يجعل المصيبة مصيبتين.

فصـــل

وأما اللئيم، فإنه يصبر اضطرارًا، فإنه يحوم حول ساحة الجزع فلا يراها تجدي عليه شيئاً فيصبر صبر الموثق للضرب، وأيضًا فالكريم يصبر في طاعة الرحمن، واللئيم يصبر في طاعة الشيطان، فاللئام أصبر الناس في طاعة أهوائهم وشهواتهم،

وأقل الناس صبراً في طاعة ربهم، فيصبر على البذل في طاعة الشيطان أتم صبر، ولا يصبر على البذل في طاعة الله في أيسر شيء، ويصبر على تحمل المشاق لهوى نفسه في مرضاة عدوه، ولا يصبر على أدنى المشاق في مرضاة ربه، ويصبر على ما يقال في عرضه في المعصية، ولا يصبر على ما يقال في عرضه إذا أوذي في الله، بل يفر من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خشية أن يتكلم في عرضه في ذات الله، ويبذل عرضه في هوى نفسه ومراده ولا يصبر على التبذل لله في مرضاته وطاعته، فهو أصبر شيء على التبذل في طاعة الشيطان، ومراد النفس، وأعجز شيء عن الصبر على ذلك في الله، وهذا أعظم اللؤم، ولا يكون صاحبه كريماً عند الله، ولا يقوم مع أهل الكرم إذا نودي بهم يوم القيامة على رءوس الأشهاد ليعلم أهل الجمع من أولى بالكرم اليوم: أين المتقون؟

اهـ . كلام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

* * *

تحريم الزنا

قَالَ اللهُ -جَلَّ فِي عُلاهُ-: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء:٣٢]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ [الفرقان:٦٨]، وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ الْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الممتحنة:١٢].

وقد كان رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- يبايع أصحابه على عدم الزنا؛ عَن أَبِي إِدرِيسَ عَائِذِ الله أَنَّ عُبَادَةَ بنَ الصَّامِتِ وَهُوَ مِن الَّذِينَ شَهِدُوا بَدرًا مَعَ رَسُولِ الله -صَلَّى اللهُ عَليهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- وَمِن أَصحَابِهِ لَيلَةَ العَقَبَةِ أَخبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَليهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- قَالَ -وَحَولَهُ عِصَابَةٌ مِن أَصحَابِهِ-: **«تَعَالَوا بَايِعُونِي عَلَى أَلَّا تُشرِكُوا بِالله شَيئًا، وَلَا تَسرِقُوا، وَلَا تَزنُوا، وَلَا تَقتُلُوا أَولَادَكُم، وَلَا تَأتُوا بِبُهتَانٍ تَفتَرُونَهُ بَينَ أَيدِيكُم وَأَرجُلِكُم، وَلَا تَعصُونِي فِي مَعرُوفٍ، فَمَن وَفَى مِنكُم فَأَجرُهُ عَلَى الله، وَمَن أَصَابَ مِن ذَلِكَ شَيئًا فَعُوقِبَ بِهِ فِي الدُّنيَا فَهُوَ لَهُ كَفَّارَةٌ، وَمَن أَصَابَ مِن ذَلِكَ شَيئًا فَسَتَرَهُ اللهُ فَأَمرُهُ إِلَى الله إِن شَاءَ عَاقَبَهُ وَإِن شَاءَ عَفَا عَنهُ، قَالَ: فَبَايَعتُهُ عَلَى ذَلِكَ».**

رواه البخاري برقم(٣٨٩٢) ومسلم برقم(١٧٠٩).

وَعَن جَابِرٍ قَالَ: كَانَ عَبدُ الله بنُ أُبَيٍّ ابنُ سَلُولَ يَقُولُ لِجَارِيَةٍ لَهُ: اذهَبِي فَابغِينَا

شيئًا، فأنزل الله ﷻ: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهُهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور:٣٣]. رواه مسلم برقم (٣٠٢٩).

وَعَن سَمُرَةَ بنِ جُندُبٍ ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَليهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- مِمَّا يُكثِرُ أَن يَقُولَ لِأَصحَابِهِ: «هَل رَأَى أَحَدٌ مِنكُم مِن رُؤيَا؟» قَالَ: فَيَقُصُّ عَلَيهِ مَن شَاءَ اللهُ أَن يَقُصَّ وَإِنَّهُ قَالَ ذَاتَ غَدَاةٍ: «إِنَّهُ أَتَانِي اللَّيلَةَ آتِيَانِ وَإِنَّهُمَا ابتَعَثَانِي، وَإِنَّهُمَا قَالَا لِي انطَلِق وَإِنِّي انطَلَقتُ مَعَهُمَا ... فَأَتَينَا عَلَى مِثلِ التَّنُّورِ قَالَ فَأَحسِبُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: فَإِذَا فِيهِ لَغَطٌ وَأَصوَاتٌ».

قَالَ: «فَاطَّلَعنَا فِيهِ فَإِذَا فِيهِ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ، وَإِذَا هُم يَأتِيهِم لَهَبٌ مِن أَسفَلَ مِنهُم فَإِذَا أَتَاهُم ذَلِكَ اللهَبُ ضَوضَوا، قَالَ: قُلتُ لَهُمَا: مَا هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: قَالَا لِي: ... وَأَمَّا الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ العُرَاةُ الَّذِينَ فِي مِثلِ بِنَاءِ التَّنُّورِ فَإِنَّهُم الزُّنَاةُ وَالزَّوَانِي ....» الحديث. رواه البخاري برقم (٧٠٤٧).

وروى الترمذي (٣١٧٧): عَن عَبدِ الله بن عَمرو قَالَ: كَانَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ مَرثَدُ ابنُ أَبِي مَرثَدٍ، وَكَانَ رَجُلًا يَحمِلُ الأَسرَى مِن مَكَّةَ حَتَّى يَأتِيَ بِهِم المَدِينَةَ قَالَ: وَكَانَت امرَأَةٌ بَغِيٌّ بِمَكَّةَ يُقَالُ لَهَا عَنَاقٌ، وَكَانَت صَدِيقَةً لَهُ، وَإِنَّهُ كَانَ وَعَدَ رَجُلًا مِن أُسَارَى مَكَّةَ يَحمِلُهُ قَالَ: فَجِئتُ حَتَّى انتَهَيتُ إِلَى ظِلِّ حَائِطٍ مِن حَوَائِطِ مَكَّةَ فِي لَيلَةٍ مُقمِرَةٍ قَالَ: فَجَاءَت عَنَاقٌ فَأَبصَرَت سَوَادَ ظِلِّي بِجَنبِ الحَائِطِ، فَلَمَّا انتَهَت إِلَيَّ عَرَفَتهُ فَقَالَت: مَرثَدٌ؟ فَقُلتُ: مَرثَدٌ، فَقَالَت: مَرحَبًا وَأَهلًا هَلُمَّ فَبِت عِندَنَا اللَّيلَةَ، قَالَ: قُلتُ: يَا عَنَاقُ حَرَّمَ اللهُ الزِّنَا، قَالَت: يَا أَهلَ الخِيَامِ هَذَا الرَّجُلُ يَحمِلُ أَسرَاكُم، قَالَ: فَتَبِعَنِي ثَمَانِيَةٌ وَسَلَكتُ الخَندَمَةَ فَانتَهَيتُ إِلَى كَهفٍ أَو غَارٍ، فَدَخَلتُ فَجَاءُوا حَتَّى قَامُوا عَلَى رَأسِي فَبَالُوا فَظَلَّ بَولُهُم عَلَى رَأسِي، وَأَعمَاهُم اللهُ عَنِّي، قَالَ: ثُمَّ رَجَعُوا وَرَجَعتُ إِلَى

صَاحِبِي فَحَمَلتُهُ، وَكَانَ رَجُلًا ثَقِيلًا حَتَّى انتَهَيتُ إِلَى الإِذخِرِ، فَفَكَكتُ عَنهُ كَبلَهُ فَجَعَلتُ أَحمِلُهُ وَيُعيِينِي حَتَّى قَدِمتُ المَدِينَةَ، فَأَتَيتُ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- فَقُلتُ: يَا رَسُولَ الله، أَنكِحُ عَنَاقًا؟ فَأَمسَكَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- فَلَم يَرُدَّ عَلَيَّ شَيئًا حَتَّى نَزَلَت: ﴿الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَو مُشرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَو مُشرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى المُؤمِنِينَ﴾ فَقَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-: «يَا مَرثَدُ الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَو مُشرِكَةً، وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَو مُشرِكٌ، فَلَا تَنكِحهَا».

هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ.

وأدلة تحريم الزنا كثيرة، وحكمه: التحريم معلوم ،فلا نطيل، وقى الله المسلمين شر الزنا وأهله.

* * *

أضرار جريمة الزنا !

قال ابن القيم في روضة المحبين (ص٢٩٥-٢٩٨):

والزنا يجمع خلال الشر كلها من:

١ - قلة الدين.

٢ - وذهاب الورع.

٣- وفساد المروءة.

٤ - وقلة الغيرة، فلا تجد زانيًا معه ورع، ولا وفاء بعهد، ولا صدق في حديث، ولا محافظة على صديق، ولا غيرة تامة على أهله، فالغدر، والكذب، والخيانة، وقلة الحياء، وعدم المراقبة، وعدم الأنفة للحرم، وذهاب الغيرة من القلب من شعبه وموجباته.

ومن موجباته:

١ - غضب الرب؛ بإفساد حرمه وعياله، ولو تعرض رجل إلى ملك من الملوك بذلك لقابله أسوأ مقابلة.

٢ - ومنها سواد الوجه، وظلمته، وما يعلوه من الكآبة والمقت الذي يبدو عليه للناظرين.

٣- ومنها ظلمة القلب وطمس نوره وهو الذي أوجب طمس نور الوجه وغشيان الظلمة له.

٤ - ومنها الفقر اللازم .

٥ - ومنها أنه يذهب حرمة فاعله، ويسقطه من عين ربه ومن أعين عباده.

٦ - ومنها أنه يسلبه أحسن الأسماء وهو اسم العفة، والبر، والعدالة، ويعطيه

أضدادها كاسم الفاجر، والفاسق، والزاني، والخائن.

٧- ومنها أنه يسلبه اسم المؤمن كما في الصحيحين[١] عن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- أنه قال «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن»، فسلبه اسم الإيمان المطلق وإن لم يسلب عنه مطلق الإيمان؛ وسئل جعفر بن محمد عن هذا الحديث فخط دائرة في الأرض وقال هذه دائرة الإيمان ثم خط دائرة أخرى خارجة عنها وقال هذه دائرة الإسلام فإذا زنى العبد خرج من هذه ولم يخرج من هذه[٢].

ولا يلزم من ثبوت جزء ما من الإيمان له أن يسمى مؤمنًا، كما أن الرجل يكون معه جزء من العلم والفقه، ولا يسمى به عالمًا فقيهًا، ومعه جزء من الشجاعة، والجود ولا يسمى بذلك شجاعًا ولا جوادًا، وكذلك يكون معه شيء من التقوى، ولا يسمى متقيًا، ونظائره.

فالصواب إجراء الحديث على ظاهره، ولا يتأول بما يخالف ظاهره. والله أعلم.

٨- ومنها أن يعرض نفسه لسكنى التنور الذي رأى النبي فيه الزناة والزواني.

٩- ومنها أنه يفارقه الطيب الذي وصف الله به أهل العفاف، ويستبدل به الخبيث الذي وصف الله به الزناة كما قال الله تعالى: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ﴾ [النور:٢٦]، وقد حرم الله الجنة على كل خبيث بل جعلها مأوى الطيبين ولا يدخلها إلا طيب قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٣٢]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر:٧]،

---

(١) رواه البخاري برقم (٢٤٧٥) ومسلم برقم (٥٧) عن أبي هريرة.

(٢) رواه الآجري برقم (٢٢٤-٢٢٥) وهو ضعيف في سنده فضيل بن يسار قد كُذِّب كما في لسان الميزان، كما ذكرته في تحقيق الشريعة.

فإنما استحقوا سلام الملائكة ودخول الجنة بطيبهم والزناة من أخبث الخلق، وقد جعل الله سبحانه جهنم دار الخبيث وأهله، فإذا كان يوم القيامة ميز الخبيث من الطيب، وجعل الخبيث بعضه على بعض ثم ألقاه، وألقى أهله في جهنم، فلا يدخل النار طيب ولا يدخل الجنة خبيث.

١٠- ومنها: الوحشة التي يضعها الله ﷻ في قلب الزاني، وهي نظير الوحشة التي تعلو وجهه فالعفيف على وجهه حلاوة وفي قلبه أنس ومن جالسه استأنس به والزاني تعلو وجهه الوحشة ومن جالسه استوحش به.

١١- ومنها: قلة الهيبة التي تنزع من صدور أهله وأصحابه وغيرهم له، وهو أحقر شيء في نفوسهم وعيونهم، بخلاف العفيف فإنه يرزق المهابة والحلاوة.

١٢- ومنها: أن الناس ينظرونه بعين الخيانة ولا يأمنه أحد على حرمته ولا على ولده.

١٣- ومنها: الرائحة التي تفوح عليه يشمها كل ذي قلب سليم، تفوح من فيه وجسده، ولولا اشتراك الناس في هذه الرائحة لفاحت من صاحبها ونادت عليه ولكن كما قيل:

كل به مثل ما بي غير أنهم ... من غيرة بعضهم للبعض عذال

١٤- ومنها: ضيقة الصدر، وحرجه، فإن الزناة يعاملون بضد قصودهم فإن من طلب لذة العيش وطيبه بما حرمه الله عليه، عاقبه بنقيض قصده، فإن ما عند الله لا ينال إلا بطاعته، ولم يجعل الله معصيته سببًا إلى خير قط، ولو علم الفاجر ما في العفاف من اللذة، والسرور، وانشراح الصدر، وطيب العيش، لرأى أن الذي فاته من اللذة أضعاف أضعاف ما حصل له، دع ربح العاقبة والفوز بثواب الله وكرامته.

١٥- ومنها أنه يعرض نفسه لفوات الاستمتاع بالحور العين في المساكن الطيبة

في جنات عدن، وقد تقدم أن الله ﷻ إذا كان قد عاقب لابس الحرير في الدنيا بحرمانه لبسه يوم القيامة، وشارب الخمر في الدنيا بحرمانه إياها يوم القيامة، فكذلك من تمتع بالصور المحرمة في الدنيا، بل كل ما ناله العبد في الدنيا فإن توسع في حلاله ضيق من حظه يوم القيامة بقدر ما توسع فيه وإن ناله من حرام فاته نظيره يوم القيامة.

١٦- ومنها: أن الزنا يجرئه على قطيعة الرحم، وعقوق الوالدين، وكسب الحرام، وظلم الخلق، وإضاعة أهله، وعياله، وربما قاده قسرًا إلى سفك الدم الحرام، وربما استعان عليه بالسحر، وبالشرك، وهو يدري أو لا يدري، فهذه المعصية لا تتم إلا بأنواع من المعاصي قبلها.

١٧- ومعها ويتولد عنها أنواع أخر من المعاصي بعدها، فهي محفوفة بجند من المعاصي قبلها، وجند بعدها، وهي أجلب شيء لشر الدنيا والآخرة، وأمنع شيء لخير الدنيا والآخرة، وإذا علقت بالعبد فوقع في حبائلها، وأشراكها، عز على الناصحين استنقاذه، وأعيا الأطباء دواؤه، فأسيرها لا يفدى، وقتيلها لا يودى، وقد وكلها الله سبحانه بزوال النعم، فإذا ابتلي بها عبد؛ فليودع نعم الله، فإنها ضيف سريع الانتقال، وشيك الزوال، قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال:٥٣]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ [الرعد: ١١].

* * *

تحريم العشق

قال ربنا ﷻ في محكم تنزيله العظيم: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات:٣٧-٤١].

وقد ذم الله اتباع الهوى فقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [محمد: ١٦]، وَقَالَ اللهُ -جَلَّ فِي عُلَاهُ- مخاطبًا بعض أشرف أنبيائه: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُواْ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص:٢٦]، وقال سبحانه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾ [البقرة:١٦٥].

قال ابن القيم رحمه الله في «روضة المحبين ونزهة المشتاقين» (ص١٢٩):

والعقلاء قاطبة مطبقون على لوم من يحب ما يتضرر بمحبته وهذا فطرة فطر الله عليها الخلق فلو اعتذر بأني لا أملك قلبي لم يقبلوا له عذرًا.

فصل

ودواء هذا الداء القتال: أن يعرف أن ما ابتلي به من هذا الداء المضاد للتوحيد أولًا، ثم يأتي من العبادات الظاهرة والباطنة بما يشغل قلبه عن دوام الفكر فيه، ويكثر اللجاء والتضرع إلى الله سبحانه في صرف ذلك عنه، وأن يرجع بقلبه إليه،

وليس له دواء أنفع من الإخلاص لله، وهو الدواء الذي ذكره الله في كتابه؛ حيث قال: ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [يوسف: ٢٤]، وأخبر سبحانه أنه صرف عنه السوء من العشق، والفحشاء من الفعل بإخلاصه، فإن القلب إذا خلص وأخلص عمله لله لم يتمكن منه عشق الصور؛ فإنه إنما تمكن من قلب فارغ كما قال:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوىٰ   فصادف قلبا خاليًا فتمكنا

وليعلم العاقل أن العقل والشرع قد يوجبان تحصيل المصالح وتكميلها، وإعدام المفاسد، وتقليلها، فإذا عرض للعاقل أمر يرى فيه المصلحة، والمفسدة، وجب عليه أمران:

أمر علمي، وأمر عملي؛ فالعلمي: طلب معرفة الراجح من طرفي المصلحة والمفسدة.

فإذا تبين له الرجحان وجب عليه إتيان الأصلح له، ومن المعلوم أنه ليس في عشق الصور مصلحة دينية، ولا دنيوية، بل مفسدته الدينية والدنيوية أضعاف أضعاف ما يقدر فيه من المصلحة، وذلك من وجوه:

أحدها: الاشتغال بذكر المخلوق، وحبه عن حب الرب تعالى وذكره، فلا يجتمع في القلب هذا وهذا إلا ويقهر أحدهما صاحبه، ويكون السلطان والغلبة له.

الثاني: عذاب قلبه بمعشوقه، فإن من أحب شيئًا غير الله عذب به ولا بد كما قيل:

فما في الأرض أشقىٰ من مُحب   وإن وجد الْهَوىٰ حلو المذاق

تراه باكيًا في كل حين   مخافة فرقة أو لاشتياق

فيبكي إن نأوا شوقًا إليهم   ويبكي إن دنوا خوف الفراق

فتسخن عينه عند الفراق   وتسخن عينه عند التلاق

والعشق وإن استلذ به صاحبه فهو من أعظم عذاب القلب .

الثالث: أن العاشق قلبه أسير في قبضة معشوقه يسومه الهوان، ولكن لسكرة العشق لا يشعر بمصابه فقلبه كالعصفورة في كف الطفل يسومها حياض الردى والطفل يلهو ويلعب، فيعيش العاشق عيش الأسير الموثق، ويعيش الخلي عيش المسيب المطلق، والعاشق كما قيل:

طليق برأي العين وهو أسير ... عليل على قطب الْهَلاك يدور

وميت يرىٰ فِي صورة الْحَي غاديًا ... وليس له حتىٰ النشور نشور

أخو غمرات ضاع فيهن قلبه ... فليس له حتىٰ الْمَمات حضور

الرابع: أنه يشتغل به عن مصالح دينه ودنياه، فليس شيء أضيع لمصالح الدين والدنيا من عشق الصور. أما مصالح الدين فإنها منوطة بلم شعث القلب وإقباله على الله، وعشق الصور أعظم شيئًا تشعيثًا وتشتيتاً له.

وأما مصالح الدنيا فهي تابعة في الحقيقة لمصالح الدين؛ فمن انفرطت عليه مصالح دينه، وضاعت عليه، فمصالح دنياه أضيع وأضيع.

الخامس: أن آفات الدنيا والآخرة أسرع إلى عشاق الصور من النار في يابس الحطب، وسبب ذلك أن القلب كلما قرب من العشق قوى اتصاله به بعد من الله، فأبعد القلوب من الله؛ قلوب عشاق الصور، وإذا بعد القلب من الله طرقته الآفات من كل ناحية، فإن الشيطان يتولاه من تولاه عدوه، واستولى عليه لم يأله وبالًا، ولم يدع أذى يمكنه إيصاله إليه إلا أوصله، فما الظن من قلب تمكن منه عدوه، وأحرص الخلق على عيبه، وفساده وبعده من وليه ومن لا سعادة له ولا فلاح ولا سرور إلا بقربه ولا ولايته.

السادس: أنه إذا تمكن من القلب واستحكم وقوي سلطانه، أفسد الذهن،

وأحدث الوساوس، وربما التحق صاحبه بالمجانين الذين فسدت عقولهم، فلا ينتفعون به، وأخبار العشاق في ذلك موجودة في مواضعها، بل بعضها يشاهد بالعيان، وأشرف ما في الإنسان عقله، وبه يتميز عن سائر الحيوانات، فإذا عدم عقله التحق بالبهائم، بل ربما كان حال الحيوان أصلح من حاله، وهل أذهب عقل مجنون ليلى وأضرابه إلا العشق وربما زاد جنونه على جنون غيره كما قيل:

قالوا جننت بمن تهوىٰ فقلت لَهُم — العشق أعظم مما بالمجانين

العشق لا يستفيق الدهر صاحبه — وإنما يصرع المجنون بالحين

السابع: أنه ربما أفسد الحواس أو نقصها إما فسادًا معنويًّا أو صوريًّا.

أما الفساد المعنوي: فهو تابع لفساد القلب، فإن القلب إذا فسد فسدت العين، والأذن، واللسان، فيرى القبيح حسنًا منه، ومن معشوقه كما في المسند مرفوعًا «حبك الشيء يعمي ويصم»[1].

فهو يعمي عين القلب عن رؤية مساوي المحبوب وعيوبه، فلا ترى العين ذلك، ويصم أذنه عن الإصغاء إلى العذل فيه، فلا تسمع الأذن ذلك، والرغبات تستر العيوب، فإن الراغب في شيء لا يرى عيوبه؛ حتى إذ زالت رغبته فيه أبصر عيوبه، فشدت الرغبة غشاوة على العين تمنع من رؤية الشيء على ما هو عليه، كما قيل:

هويتك إذ عيني عليها غشاوة — فلما انجلت قطعت نفسي ألومها

والداخل في الشيء لا يرى عيوبه، والخارج منه الذي لم يدخل فيه لا يرى عيوبه، ولا يرى عيوبه إلا من دخل فيه ثم خرج منه، ولهذا كان الصحابة الذين دخلوا في الإسلام بعد الكفر خير من الذين ولدوا في الإسلام، قال عمر بن الخطاب ﷺ: إنما

(١) الحديث رواه أحمد (٥/ ١٩٤) من حديث أبي الدرداء ﷺ، وفي سنده أبو بكر بن أبي مريم ضعيف، وقد اختلف في رفعه ووقفه. وانظر الضعيفة برقم (١٨٦٨).

ينتقض عُرى الإسلام عروة عروة، إذا وُلد في الإسلام من لا يعرف الجاهلية.

وأما فساده للحواس ظاهرًا: فإنه يمرض البدن وينهكه، وربما أدى إلى تلفه كما هو المعروف في أخبار من قتله العشق، وقد رفع إلى ابن عباس وهو بعرفة شاب قد انتحل حتى عاد جلدًا على عظم، فقال:

ما شأن هذا؟ قالوا: به العشق؛ فجعل ابن عباس يستعيذ بالله من العشق عامة يومه.

الثامن: كما تقدم هو الإفراط في المحبة بحيث يستولي المعشوق على القلب من العاشق، حتى لا يخلو من تخيله، وذكره، والفكر فيه بحيث لا يغيب عن خاطره وذهنه، فعند ذلك تشتغل النفس بالخواطر النفسانية، فتتعطل تلك القوى، فيحدث بتعطيلها من الآفات على البدن والروح ما يعز دواؤه، فتتغير أفعاله وصفاته ومقاصده ويختل جميع ذلك فتعجز البشر عن صلاحه، كما قيل:

الحب أول ما يكون لجاجة ... يأتي بها وتسوقه الأقدار

حتىٰ إذا خاض الفتىٰ لجج الْهَوىٰ ... جاءت أمور لا تطاق كبار

والعشق مباديه سهلة حلوة، وأوسطه هم، وشغل قلب، وسقم، وآخره عطب، وقتل؛ إن لم يتداركه عناية من الله، كما قيل:

وعش خاليًا فالحب أوله عناء ... وأوسطه سقم وآخره قتل

وقال آخر:

تولع بالعشق حتىٰ عشق ... فلما استقل به لم يطق

رأىٰ لجة ظنها موجة ... فلما تمكن منها غرق

والذنب له فهو الجاني على نفسه، وقد قعد تحت المثل السائر: يداك أَوْكَتَا وفوك نفخ. اهـ

وقال ابن القيم في الداء والدواء (ص٣٣٣-٣٣٥):

وقد تنصر جماعة ممن نشأ في الإسلام بسبب العشق، كما جرى لبعض المؤذنين حين أبصر وهو على سطح مسجد امرأة جميلة ففتن بها، فنزل ودخل عليها، وسألها نفسها، فقالت: هي نصرانية فإن دخلت في ديني تزوجت بك، ففعل فرقي في ذلك اليوم على درجة عندهم فسقط منها فمات. ذكر هذا عبد الحق في كتاب «العاقبة» له .

وإذا أراد النصارى أن ينصروا الأسير أروه امرأة جميلة، وأمروها أن تطمعه في نفسها حتى إذا تمكن حبها من قلبه بذلت له نفسها إن دخل في دينها، فهنالك ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ [إبراهيم:٢٧]، وفي العشق من ظلم كل واحد من العاشق والمعشوق لصاحبه لمعاونته له على الفاحشة، وظلمه لنفسه، فكل منهما ظالم لنفسه، وصاحبه، وظلمهما متعدٍّ إلى الغير كما تقدم، وأعظم من ذلك ظلمهما بالشرك فقد تضمن العشق أنواع الظلم كلها.

والمعشوق إذا لم يتق الله فإنه يعرض العاشق للتلف؛ وذلك ظلم منه بأن يطمعه في نفسه ويتزين له ويستميله بكل طريق حتى يستخرج منه ماله ونفعه، ولا يمكنه من نفسه لئلا يزول غرضه بقضاء وطره منه؛ فهو يسومه سوء العذاب.

والعاشق ربما قتل معشوقه ليشفي نفسه منه، ولا سيما إذا جاد بالوصال لغيره، وكم للعشق من قتيل من الجانبين، وكم قد زال من نعمة، وأفقر من غني، وأسقط من مرتبة، وشتت من شمل، وكم أفسد من أهل للرجل، وولد، فإن المرأة إذا رأت بعلها عاشقًا لغيرها اتخذت هي معشوقًا لنفسها، فيصير الرجل مترددًا بين خراب بيته بالطلاق، وبين القيادة، فمن الناس من يؤثر هذا، ومنهم من يؤثر هذا، فعلى العاقل أن يحكم على نفسه سد عشق الصور لئلا يؤذيه، ويؤديه ذلك إلى الهلاك؛ وهذه المفاسد، وأكثرها، أو بعضها.

فمن فعل ذلك فهو المفرط بنفسه والمغرر بها، فإذا هلكت فهو الذي أهلكها فلولا تكراره النظر إلى وجه معشوقه وطمعه في وصاله لم يتمكن عشقه من قلبه.

فإن أول أسباب العشق الاستحسان، سواء تولد عن نظر أو سماع، فإن لم يقارنه طمع في الوصال، وقارنه الإياس من ذلك لم يحدث له العشق، فإن اقترن به الطمع فصرفه عن فكره ولم يشغل قلبه به لم يحدث له ذلك، فإن أطاع مع ذلك الفكر في محاسن المعشوق، وقارنه خوف ما هو أكبر عنده من لذة وصاله؛ إما خوف ديني كخوف النار، وغضب الجبار، واجتناب الأوزار، وغلب هذا الخوف على ذلك الطمع والفكر، لم يحدث له العشق فإن فاته هذا الخوف وقارنه خوف دنيوي كخوف إتلاف نفسه، وماله، وذهاب جاهه، وسقوط مرتبته عند الناس، وسقوطه من عين من يعز عليه، وغلب هذا الخوف لداعي العشق دفعه، وكذلك إذا خاف من فوات محبوب هو أحب إليه، وأنفع له من ذلك المعشوق، وقدم محبته على محبة المعشوق اندفع عنه العشق، فانتفاه ذلك كله، أو غلبت محبة المعشوق لذلك انجذب إليه القلب بالكلية، ومالت إليه النفس كل الميل. اهـ

* * *

ذم اتباع الهوى

عَن أَبِي هُرَيرَةَ أَنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَليهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «حُفَّت الجَنَّةُ بِالمَكَارِهِ وَحُفَّت النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ».

رواه البخاري برقم (٦٤٨٧) ومسلم برقم (٢٨٢٣).

وَعَن أَبِي بَرزَةَ عَن النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَليهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «إِنَّ مِمَّا أَخشَى عَلَيكُم: شَهَوَاتِ الغَيِّ فِي بُطُونِكُم، وَفُرُوجِكُم، وَمُضِلَّاتِ الهَوَى».

رواه أحمد (٤/ ٤٢٠) وابن أبي عاصم برقم (١٤). وهو حديث صحيح.

وَعَن أَبِي هُرَيرَةَ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَليهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-: «غَزَا نَبِيٌّ مِن الأَنبِيَاءِ فَقَالَ لِقَومِهِ: لَا يَتبَعنِي رَجُلٌ مَلَكَ بُضعَ امرَأَةٍ وَهُوَ يُرِيدُ أَن يَبنِيَ بِهَا وَلَمَّا يَبنِ بِهَا، وَلَا أَحَدٌ بَنَى بُيُوتًا وَلَم يَرفَع سُقُوفَهَا، وَلَا أَحَدٌ اشتَرَى غَنَمًا أَو خَلِفَاتٍ وَهُوَ يَنتَظِرُ وِلَادَهَا، فَغَزَا فَدَنَا مِن القَريَةِ صَلَاةَ العَصرِ أَو قَرِيبًا مِن ذَلِكَ فَقَالَ لِلشَّمسِ: إِنَّكِ مَأمُورَةٌ وَأَنَا مَأمُورٌ؛ اللهم احبِسهَا عَلَينَا. فَحُبِسَت حَتَّى فَتَحَ اللهُ عَلَيهِ، فَجَمَعَ الغَنَائِمَ فَجَاءَت -يَعنِي: النَّارَ- لِتَأكُلَهَا فَلَم تَطعَمهَا، فَقَالَ: إِنَّ فِيكُم غُلُولًا فَليُبَايِعنِي مِن كُلِّ قَبِيلَةٍ رَجُلٌ، فَلَزِقَت يَدُ رَجُلٍ بِيَدِهِ، فَقَالَ: فِيكُم الغُلُولُ فَليُبَايِعنِي قَبِيلَتُكَ، فَلَزِقَت يَدُ رَجُلَينِ أَو ثَلَاثَةٍ بِيَدِهِ، فَقَالَ: فِيكُم الغُلُولُ، فَجَاءُوا بِرَأسٍ مِثلِ رَأسِ بَقَرَةٍ مِن الذَّهَبِ فَوَضَعُوهَا، فَجَاءَت النَّارُ فَأَكَلَتهَا، ثُمَّ أَحَلَّ اللهُ لَنَا الغَنَائِمَ رَأَى ضَعفَنَا وَعَجزَنَا فَأَحَلَّهَا لَنَا».

رواه البخاري برقم (٣١٢٤) ومسلم برقم(١٧٤٧).

العاشق عبدٌ لله، وليس عبدًا لشهواته

وَقَالَ اللهُ -جَلَّ ذِكْرُهُ-: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]، فخلق الخلق لعبادته، وأمره بطاعته، وأن تكون حياتهم كلها لله، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣]، وهو أول واجب، وآكد الواجبات على العباد؛ عبادته وحده دون غيره لا يشركون به شيئا؛ لحديث مُعَاذٍ ﷺ قَال كُنتُ رِدفَ النَّبِيِّ -صَلى اللهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلمَ- عَلى حِمَارٍ يُقَالُ لهُ عُفَيرٌ،فَقَال:«يَا مُعَاذُ! هَل تَدرِي حَقَّ الله عَلى عِبَادِهِ وَمَا حَقُّ العِبَادِ عَلى الله؟» قُلتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعلمُ .قَال:«فَإِنَّ حَقَّ الله عَلى العِبَادِ أَن يَعبُدُوهُ وَلا يُشرِكُوا بِهِ شَيئًا، وَحَقَّ العِبَادِ عَلى الله أَلَّا يُعَذِّبَ مَن لا يُشرِكُ بِهِ شَيئًا».

فَقُلتُ: يَا رَسُولَ الله، أَفَلا أُبَشِّرُ بِهِ النَّاسَ؟ قَال:«لا تُبَشِّرهُم فَيَتَّكِلُوا».

رواه البخاري برقم (٢٨٥٦)، ومسلم (٣٠).

وأول ما يجب علمًا وعملًا ودعوةً، لما في صحيح البخاري (١٣٩٥)، ومسلم (١٩-٣٠): عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ ﭬ أَنَّ النَّبِيَّ -صَلى اللهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلمَ- بَعَثَ مُعَاذًا ﷺ إِلى اليَمَنِ، فَقَال: «ادعُهُم إِلى شَهَادَةِ أَن لا إِلهَ إِلا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ الله، فَإِن هُم أَطَاعُوا لِذَلِكَ؛ فَأَعلِمهُم أَنَّ اللهَ قَد افتَرَضَ عَلَيهِم خَمسَ صَلوَاتٍ فِي كُل يَومٍ وَلَيلةٍ، فَإِن هُم أَطَاعُوا لِذَلِكَ؛ فَأَعلِمهُم أَنَّ اللهَ افتَرَضَ عَلَيهِم صَدَقَةً فِي أَموَالِهِم تُؤخَذُ مِن أَغنِيَائِهِم وَتُرَدُّ عَلى فُقَرَائِهِم».

وهذا ما داوم عليه رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- طيلة حياته، ولم يفرط فيه أو يقصر حتى توفاه الله، وهو آخر ما عهد إلى أصحابه وأمته؛ لحديث عَائِشَةَ وَعَبدِ الله بنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهم قَالا: لَـمَّا نَزَل بِرَسُولِ الله صَلى اللهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلمَ طَفِقَ يَطرَحُ خَمِيصَةً لهُ عَلى وَجهِهِ، فَإِذَا اغتَمَّ كَشَفَهَا عَن وَجهِهِ، وَهُوَ كَذَلِكَ يَقُولُ: «لعنَةُ الله عَلى اليَهُودِ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنبِيَائِهِم مَسَاجِدَ» يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا. رواه البخاري (٤٤٤٤) ومسلم برقم (٥٣١).

وعلى ذلك درج أصحابه والصالحون، وأئمة الدين بعدهم على إثرهم، والأدلة كثيرة في ذلك، وليس ثمة حرف واحد يدل على خلاف ذلك.

وهو آخر واجب على العبد، فعن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: «لقنوا موتاكم لا إله إلا الله» رواه مسلم برقم(٩١٦، ٩١٧).

وعند أحمد (٥/ ٢٢٩و٢٣٣) عن معاذ، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله وجبت له الجنة».وهو حديث حسن.

وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [آل عمران:١٩١]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا بَٰطِلٗاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [ص :٢٧]، وقال رب العزة والجلال: ﴿مَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ مُعۡرِضُونَ ﴾ [الأحقاف:٣]، وأخبر تعالى عن حال هذا الإنسان أنه محاسب عليه كله، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ﴾ [ق:١٦].

لذلك حذَّر الله عباده عن معصيته فقال: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر:١٠]، وتوعَّد العصاة الفجرة بقوله تعالى: ﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴾ [الزمر:١٦] .

ورغَّب عباده الطائعين الذين لم يعبدوا غيره؛ وبشرهم فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴾ [الزمر:١٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ [المطففين:٢٢-٢٨].

* * *

أقسام العشق

قال الإمام ابن قيم الجوزية في الداء والدواء (ص٣٢٣-٣٢٩):

وهو أقسام، وهو تارة يكون كفرًا، لمن اتخذ معشوقه ندًّا يحبه كما يحب الله؛ فكيف إذا كانت محبته أعظم من محبة الله في قلبه؛ فهذا عشق لا يغفر لصاحبه، فإنه من أعظم الشرك، والله لا يغفر أن يشرك به، وإنما يغفر بالتوبة الماحية ما دون ذلك.

وعلامة هذا العشق الشركي الكفرى: أن يقدم العاشق رضاء معشوقه على رضاء ربه، وإذا تعارض عنده حق معشوقه وحقه وحق ربه وطاعته؛ قدم حق معشوقه على حق ربه، وآثر رضاه على رضاه، وبذل لمعشوقه أنفس ما يقدر عليه، وبذل لربه إن بذل أردى ما عنده، واستفرغ وسعه في مرضات معشوقه وطاعته والتقرب إليه، وجعل لربه إن أطاعه الفضلة التي تفضل عن معشوقه من ساعاته، فتأمل حال أكثر عشاق الصور تجدها مطابقة لذلك، ثم ضع حالهم في كفة، وتوحيدهم في كفة، وإيمانهم في كفة، ثم زن وزنًا يرضي الله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، ويطابق العدل، وربما صرح العاشق منهم بأن وصل معشوقه أحب إليه من توحيد ربه، كما قال العاشق الخبيث:

يترشفن من فمي رشفات ... هن أحلى فيه من التوحيد

وكما صرح الخبيث الآخر بأن وصل معشوقه أشهى إليه من رحمة ربه، فعياذًا بك اللهم من هذا الخذلان، ومن هذا الحال، قال الشاعر:

وصلك أشهى إلى فؤادي ... من رحمة الخالق الجليل

ولا ريب أن هذا العشق من أعظم الشرك، وكثير من العشاق يصرح بأنه لم يبق في قلبه موضع لغير معشوقه ألبتة، بل قد ملك معشوقه عليه قلبه كله فصار عبدًا مخلصًا من كل وجه لمعشوقه، فقد رضي هذا من عبودية الخالق ﷻ بعبودية المخلوق مثله، فإن العبودية هي كمال الحب والخضوع، وهذا قد استغرق قوة حبه، وخضوعه، وذله لمعشوقه، فقد أعطاه حقيقة العبودية، ولا نسبة بين مفسدة هذا الأمر العظيم، ومفسدة الفاحشة. فإن تلك ذنب كبير لفاعله، حكمه حكم أمثاله، ومفسدة هذا العشق مفسدة الشرك .

وكان بعض الشيوخ من العارفين، يقول: لأن أُبتلى بالفاحشة مع تلك الصورة، أحب إلي من أن أُبتلى فيها بعشق يتعبد لها قلبي ويشغله عن الله .اهـ

هذا والعشق على مراتب:

فمنه ما يكون كفرًا وشركًا بالله العظيم.

ومنه ما يكون معصية كبيرة؛ يستحق صاحبها الإثم والعقوبة من الله -تبارك وتعالى-.

ومنه ما يجوز كما ذكرته في موضعه نقلًا عن ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وكلامنا في العشق على ما يحرم منه، لأنه إلقاء بالنفس إلى التهلكة، واتباع للهوى، وزيغ للقلب، وخبل للعقل، وصرف للنفي عما خلقت له من طاعة الله وعبادته، ومعارضة للقدر، وعدم رضًا بما قسمه الله تعالى، وترك للاستسلام وغيرها من المفاسد المترتبة على العشق المقيت.

* * *

أقسام الناس في العشق

قال الإمام ابن قيم الجوزية في الداء والدواء (ص٣٧٠-٣٧١):

فعشق الناسُ النساءَ ثلاثة أقسام:

١- عشق هو قربة وطاعة؛ وهو عشق الرجل امرأته، وجاريته، وهذا العشق نافع، فإنه أدْعَى إلى المقاصد التي شرع الله لها النكاح، وأكف للبصر، والقلب عن التطلع إلى غير أهله، ولهذا يحمد هذا العاشق عند الله، وعند الناس.

٢- وعشق هو مقت عند الله، وبعد من رحمته، وهو أضر شيء على العبد في دينه ودنياه؛ وهو عشق المردان فما ابتلي به إلا من سقط من عين الله، وطرد عن بابه، وأبعد قلبه عنه، وهو من أعظم الحجب القاطعة عن الله كما قال بعض السلف: إذا سقط العبد من عين الله ابتلاه بمحبة المردان. وهذه المحبة هي التي جلبت على قوم لوط ما جلبت وما أوتوا إلا من هذا العشق، قال الله تعالى: ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [الحجر:٧٢]، ودواء هذا الداء الردي:

١) الاستعانة بمقلب القلوب.

٢) وصدق اللجء إليه.

٣) والاشتغال بذكره.

٤) والتعوض بحبه وقربه.

٥) والتفكر بالألم الذي يعقبه هذا العشق، واللذة التي تفوته به. فترتب عليه فوات أعظم محبوب، وحصول أعظم مكروه. فإذا قدمت نفسه على هذا، وآثرته؛ فليكبر على نفسه تكبير الجنازة وليعلم أن البلاء قد أحاط به.

٣- والقسم الثالث من العشق: العشق المباح؛ الذي لا يملك، كعشق من صورت له امرأة جميلة أو رآها فجأة من غير تصدٍّ، فأورثه ذلك عشقًا لها، ولم يحدث له ذلك العشق معصية، فهذا لا يملك ولا يعاقب عليه، والأنفع له مدافعته، والاشتغال بما هو أنفع له منه، والواجب على هذا أن يكتم ويعف، ويصبر على بلواه فيثيبه الله على ذلك ويعوضه على صبره لله، وعفته، وترك طاعته هواه، وإيثار مرضاة الله وما عنده .

فصل: والعشاق ثلاثة أقسام:

١- منهم من يعشق الجمال المطلق.

٢- ومنهم من يعشق الجمال المقيد، سواء طمع بوصاله، أو لم يطمع.

٣- ومنهم من لا يعشق إلا من طمع لوصاله.

وبين هذه الأنواع الثلاثة تفاوت في القوة والضعف، فعاشق الجمال المطلق يهيم قلبه في كل واد، وله في كل صورة جميلة مراد :

يومًا بحزوىٰ ويوم بالعقيق وبالعـ ـذيب يومًا ويومًا بالخليصاء

وتارة ينتحي بنجد وآونة شعب العقيق وطورًا قصر تيماء

فهذا عشقه أوسع، ولكنه غير ثابت كثير التنقل:

يهيم بهذا ثم يعشق غيره ويسلاهم من وقته حين يصبح

وعاشق الجمال المقيد أثبت على معشوقه، وأدوم محبة له، ومحبته أقوى من محبة الأول لاجتماعها في واحد، ويقسم الأولى، ولكن يضعفها عدم الطمع في الوصال، وعاشق الجمال الذي يطمع في وصاله أعقل العشاق وأعرفهم وحبه أقوى؛ لأن الطمع يمده ويقويه. اهـ

* * *

وصف الحور العين

قَالَ اللهُ -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَـٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَـٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ [البقرة:٢٥].

وقال ﷻ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَـٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَـٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرحمن:٤٦-٧٤].

وقال الله تعالى: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَـٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَـٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَـٰمًا سَلَـٰمًا ﴿٢٦﴾

وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴾ [الواقعة:١٥-٣٧].

وقال الله -تبارك وتعالى-: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا﴾ [النبأ:٣١-٣٣].

وَعَن أَبِي هُرَيرَةَ ﷺ عَن النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعلى آله وَسَلَّمَ-: «**أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَدخُلُ الجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ القَمَرِ لَيلَةَ البَدرِ، وَالَّذِينَ عَلَى آثَارِهِم كَأَحسَنِ كَوكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً، قُلُوبُهُم عَلَى قَلبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ لَا تَبَاغُضَ بَينَهُم وَلَا تَحَاسُدَ، لِكُلِّ امرِئٍ زَوجَتَانِ مِن الحُورِ العِينِ؛ يُرَى مُخُّ سُوقِهِنَّ مِن وَرَاءِ العَظمِ وَاللحمِ**». رواه البخاري برقم(٣٢٥٤) ومسلم برقم (٢٨٣٤).

قال الإمام ابن القيم في النونية (ص٣٧٢-٣٨٠) في وصف الحور:

يَا مُطْلِقَ الطَّرْفِ الْمُعَذَّبِ فِي الْأُلَىٰ ... جُرِّدْنَ عَنْ حُسْنٍ وَعَنْ إِحْسَانِ
لاَ تَسْبِيَنَّكَ صُورَةٌ مِنْ تَحْتِهَا الدْ ... دَاءُ الدَّوِيُّ تَبُوءُ بِالْخُسْرَانِ
قُبِحَتْ خَلاَئِقُهَا وَقُبِّحَ فِعْلُهَا ... شَيْطَانَةٌ فِي صُورَةِ الإِنْسَانِ
تَنْقَادُ لِلأَنْذَالِ وَالأَرْذَالِ هُمْ ... أَكْفَاؤُهَا مِنْ دُونِ ذِي الإِحْسَانِ
مَا ثَمَّ مِنْ دِينٍ وَلاَ عَقْلٍ وَلاَ ... خُلُقٍ وَلاَ خَوْفٍ مِنَ الرَّحْمَنِ
وَجَمَالُهَا زُورٌ وَمَصْنُوعٌ فَإِنْ ... تَرَكَتْهُ لَمْ تَطْمَحْ لَهَا الْعَيْنَانِ
طُبِعَتْ عَلَىٰ تَرْكِ الْحِفَاظِ فَمَا لَهَا ... بِوَفَاءِ حَقِّ الْبَعْلِ قَطُّ يَدَانِ
إِنْ قَصَّرَ السَّاعِي عَلَيْهَا سَاعَةً ... قَالَتْ وَهَلْ أَوْلَيْتَ مِنْ إِحْسَانِ
أَوْ رَامَ تَقْوِيمًا لَهَا اسْتَعْصَتْ وَلَمْ ... تَقْبَلْ سِوَىٰ التَّعْوِيجِ وَالنُّقْصَانِ
أَفْكَارُهَا فِي الْمَكْرِ وَالْكَيْدِ الَّذِي ... قَدْ حَارَ فِيهِ فِكْرَةُ الإِنْسَانِ

فَجَمَالُهَا قِشْرٌ رَقِيقٌ تَحْتَهُ مَا شِئْتَ مِنْ عَيْبٍ وَمِنْ نُقْصَانِ
نَقْدٌ رَدِيءٌ فَوْقَهُ مِنْ فِضَّةٍ شَيْءٌ يُظَنُّ بِهِ مِنَ الأَثْمَانِ
فَالنَّاقِدُونَ يَرَوْنَ مَاذَا تَحْتَهُ وَالنَّاسُ أَكْثَرُهُمْ مِنَ الْعُمْيَانِ
أَمَّا جَمِيلاَتُ الْوُجُوهِ فَخَائِنَا تُ بُعُولِهِنَّ وَهُنَّ لِلأَخْدَانِ
وَالْحَافِظَاتُ الْغَيْبِ مِنْهُنَّ الَّتِي قَدْ أَصْبَحَتْ فَرْدًا مِنَ النِّسْوَانِ
فَانْظُرْ مَصَارِعَ مَنْ يَلِيكَ وَمَنْ خَلاَ مِنْ قَبْلُ مِنْ شِيبٍ وَمِنْ شُبَّانِ
وَارْغَبْ بِعَقْلِكَ أَنْ تَبِيعَ الْعَالِيَ الْـ ـبَاقِي بِذَا الأَدْنَىٰ الَّذِي هُوَ فَانِ
إِنْ كَانَ قَدْ أَعْيَاكَ خُودٌ مِثْلُ مَا تَبْغِي وَلَمْ تَظْفَرْ إِلَىٰ ذَا الآنِ
فَاخْطُبْ مِنَ الرَّحْمَنِ خُودًا ثُمَّ قَدْ دِمْ مَهْرَهَا مَا دُمْتَ ذَا إِمْكَانِ
ذَاكَ النِّكَاحُ عَلَيْكَ أَيْسَرُ إِنْ يَكُنْ لَكَ نِسْبَةٌ لِلْعِلْمِ وَالإِيمَانِ
وَاللهِ لَمْ تَخْرُجْ إِلَىٰ الدُّنْيَا لِلَذْ ذَةِ عَيْشِهَا أَوْ لِلْحُطَامِ الْفَانِي
لَكِنْ خَرَجْتَ لِكَيْ تُعِدَّ الزَّادَ لِلْـ أُخْرَىٰ فَجِئْتَ بِأَقْبَحِ الْخُسْرَانِ
أَهْمَلْتَ جَمْعَ الزَّادِ حَتَّىٰ فَاتَ بَلْ فَاتَ الَّذِي أَلْهَاكَ عَنْ ذَا الشَّانِ
وَاللهِ لَوْ أَنَّ الْقُلُوبَ سَلِيمَةٌ لَتَقَطَّعَتْ أَسَفًا مِنَ الْحِرْمَانِ
لَكِنَّهَا سَكْرَىٰ بِحُبِّ حَيَاتِهَا الدْ دُنْيَا وَسَوْفَ تُفِيقُ بَعْدَ زَمَانِ

فصل

فَاسْمَعْ صِفَاتِ عَرَائِسِ الْجَنَّاتِ ثُمْ مَ اخْتَرْ لِنَفْسِكَ يَا أَخَا الْعِرْفَانِ
حُورٌ حِسَانٌ قَدْ كَمُلْنَ خَلاَئِقًا وَمَحَاسِنًا مِنْ أَجْمَلِ النِّسْوَانِ
حَتَّىٰ يَحَارُ الطَّرْفُ فِي الْحُسْنِ الَّذِي قَدْ أُلْبِسَتْ فَالطَّرْفُ كَالْحَيْرَانِ
وَيَقُولُ لَمَّا أَنْ يُشَاهِدَ حُسْنَهَا سُبْحَانَ مُعْطِي الْحُسْنِ وَالإِحْسَانِ
وَالطَّرْفُ يَشْرَبُ مِنْ كُئُوسِ جَمَالِهَا فَتَرَاهُ مِثْلَ الشَّارِبِ النَّشْوَانِ

كَمُلَتْ خَلائِقُهَا وَأُكْمِلَ حُسْنُهَا ... كَالْبَدْرِ لَيْلَ السِّتِّ بَعْدَ ثَمَانِ
وَالشَّمْسُ تَجْرِي فِي مَحَاسِنِ وَجْهِهَا ... وَاللَّيْلُ تَحْتَ ذَوَائِبِ الأَغْصَانِ
فَتَرَاهُ يَعْجَبُ وَهْوَ مَوْضِعُ ذَاكَ مِنْ ... لَيْلٍ وَشَمْسٍ كَيْفَ يَجْتَمِعَانِ
فَيَقُولُ سُبْحَانَ الَّذِي ذَا صُنْعُهُ ... سُبْحَانَ مُتْقِنِ صَنْعَةِ الإِنْسَانِ
لاَ اللَّيْلُ يُدْرِكُ شَمْسَهَا فَتَغِيبُ عِنْـ ... ـدَ مَجِيئِهِ حَتَّى الصَّبَاحِ الثَّانِي
وَالشَّمْسُ لاَ تَأْتِي بِطَرْدِ اللَّيْلِ بَلْ ... يَتَصَاحَبَانِ كِلاَهُمَا أَخَوَانِ
وَكِلاَهُمَا مِرْآةُ صَاحِبِهِ إِذَا ... مَا شَاءَ يُبْصِرُ وَجْهَهُ يَرَيَانِ
فَيَرَى مَحَاسِنَ وَجْهِهِ فِي وَجْهِهَا ... وَتَرَى مَحَاسِنَهَا بِهِ بِعِيَانِ
حُمْرُ الْخُدُودِ ثُغُورُهُنَّ لآلِئٌ ... سُودُ الْعُيُونِ فَوَاتِرُ الأَجْفَانِ
وَالْبَرْقُ يَبْدُو حِينَ يَبْسِمُ ثَغْرُهَا ... فَيُضِيءُ سَقْفُ الْقَصْرِ بِالْجُدْرَانِ
وَلَقَدْ رُوِينَا أَنَّ بَرْقًا سَاطِعًا ... يَبْدُو فَيَسْأَلُ عَنْهُ مَنْ بِجِنَانِ
فَيُقَالُ هَذَا ضَوْءُ ثَغْرٍ ضَاحِكٍ ... فِي الْجَنَّةِ الْعُلْيَا كَمَا تَرَيَانِ
للهِ لاَثِمُ ذَلِكَ الثَّغْرِ الَّذِي ... فِي لَثْمِهِ إِدْرَاكُ كُلِّ أَمَانِ
رَيَّانَةُ الأَعْطَافِ مِنْ مَاءِ الشَّبَا ... بِ فَغُصْنُهَا بِالْمَاءِ ذُو جَرَيَانِ
لَمَّا جَرَى مَاءُ النَّعِيمِ بِغُصْنِهَا ... حَمَلَ الثِّمَارَ كَثِيرَةَ الأَلْوَانِ
فَالْوَرْدُ وَالتُّفَّاحُ وَالرُّمَّانُ فِي ... غُصْنٍ تَعَالَى غَارِسُ الْبُسْتَانِ
وَالْقَدُّ مِنْهَا كَالْقَضِيبِ اللَّدْنِ فِي ... حُسْنِ الْقَوَامِ كَأَوْسَطِ الْقُضْبَانِ
فِي مَغْرِسٍ كَالْعَاجِ تَحْسَبُ أَنَّهُ ... عَالِي النَّقَا أَوْ وَاحِدُ الْكُثْبَانِ
لاَ الظَّهْرُ يَلْحَقُهَا وَلَيْسَ ثُدِيُّهَا ... بِلَوَاحِقٍ لِلْبَطْنِ أَوْ بِدَوَانِ
لَكِنَّهُنَّ كَوَاعِبٌ وَنَوَاهِدٌ ... فَثُدِيُّهُنَّ كَأَلْطَفِ الرُّمَّانِ
وَالْجِيدُ ذُو طُولٍ وَحُسْنٍ فِي بَيَا ... ضٍ وَاعْتِدَالٍ لَيْسَ ذَا نُكْرَانِ
يَشْكُو الْحُلِيُّ بِعَادَهُ فَلَهُ مَدَى الْـ ... أَيَّامِ وَسْوَاسٌ مِنَ الْهِجْرَانِ
وَالْمِعْصَمَانِ فَإِنْ تَشَأْ شَبِّهْهُمَا ... بِسَبِيكَتَيْنِ عَلَيْهِمَا كَفَّانِ
كَالزُّبْدِ لِينًا فِي نُعُومَةِ مَلْمَسٍ ... أَصْدَافُ دُرٍّ دُوِّرَتْ بِوِزَانِ

وَالصَّدْرُ مُتَّسِعٌ عَلَىٰ بَطْنٍ لَهَا … حُقَّتْ بِهِ خَصْرَانِ ذَاتُ ثَمَانِ
وَعَلَيْهِ أَحْسَنُ سُرَّةٍ هِيَ مَجْمَعُ الْـ … ـخَصْرَيْنِ قَدْ غَارَتْ مِنَ الأَعْكَانِ
حُقٌّ مِنَ الْعَاجِ اسْتَدَارَ وَحَوْلَهُ … حَبَّاتُ مِسْكٍ جَلَّ ذُو الإِتْقَانِ
وَإِذَا انْحَدَرْتَ رَأَيْتَ أَمْرًا هَائِلاً … مَا لِلصِّفَاتِ عَلَيْهِ مِنْ سُلْطَانِ
لاَ الْحَيْضُ يَغْشَاهُ وَلاَ بَوْلٌ وَلاَ … شَيْءٌ مِنَ الآفَاتِ فِي النِّسْوَانِ
فَخِذَانِ قَدْ حَفَّا بِهِ حَرَسًا لَهُ … فَجَنَابُهُ فِي عِزَّةٍ وَصِيَانِ
قَامَا بِخِدْمَتِهِ هُوَ السُّلْطَانُ بَيْـ … ـنَهُمَا وَحَقٌّ طَاعَةُ السُّلْطَانِ
وَهُوَ الْمُطَاعُ أَمِيرُهُ لاَ يَنْثَنِي … عَنْهُ وَلاَ هُوَ عِنْدَهُ بِجَبَانِ
وَجِمَاعُهَا فَهْوَ الشِّفَاءُ لِصَبِّهَا … فَالصَّبُّ مِنْهُ لَيْسَ بِالضَّجْرَانِ
وَإِذَا يُجَامِعُهَا تَعُودُ كَمَا أَتَتْ … بِكْرًا بِغَيْرِ دَمٍ وَلاَ نُقْصَانِ
فَهْوَ الشَّهِيُّ وَعُضْوُهُ لاَ يَنْثَنِي … جَاءَ الْحَدِيثُ بِذَا بِلاَ نُكْرَانِ
وَلَقَدْ رَوَيْنَا أَنَّ شُغْلَهُمُ الَّذِي … قَدْ جَاءَ فِي يَس دُونَ بَيَانِ
شُغْلُ الْعَرُوسِ بِعُرْسِهِ مِنْ بَعْدِ مَا … عَبِثَتْ بِهِ الأَشْوَاقُ طُولَ زَمَانِ
بِاللهِ لاَ تَسْأَلْهُ عَنْ أَشْغَالِهِ … تِلْكَ اللَّيَالِي شَأْنُهُ ذُو شَانِ
وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً بِصَبٍّ غَابَ عَنْ … مَحْبُوبِهِ فِي شَاسِعِ الْبُلْدَانِ
وَالشَّوْقُ يُزْعِجُهُ إِلَيْهِ وَمَا لَهُ … بِلِقَائِهِ سَبَبٌ مِنَ الإِمْكَانِ
وَافَىٰ إِلَيْهِ بَعْدَ طُولِ مَغِيبِهِ … عَنْهُ وَصَارَ الْوَصْلُ ذَا إِمْكَانِ
أَتَلُومُهُ إِنْ صَارَ ذَا شُغْلٍ بِهِ … لاَ وَالَّذِي أَعْطَىٰ بِلاَ حُسْبَانِ
يَا رَبِّ غَفْرًا قَدْ طَغَتْ أَقْلاَمُنَا … يَا رَبِّ مَعْذِرَةً مِنَ الطُّغْيَانِ

فصل

أَقْدَامُهَا مِنْ فِضَّةٍ قَدْ رُكِّبَتْ … مِنْ فَوْقِهَا سَاقَانِ مُلْتَفَّانِ
وَالسَّاقُ مِثْلُ الْعَاجِ مَلْمُومٌ يُرَىٰ … مُخُّ الْعِظَامِ وَرَاءَهُ بِعِيَانِ

وَالرِّيحُ مِسْكٌ وَالْجُسُومُ نَوَاعِمٌ … وَاللَّوْنُ كَالْيَاقُوتِ وَالْمَرْجَانِ
وَكَلامُهَا يَسْبِي الْعُقُولَ بِنَغْمَةٍ … زَادَتْ عَلَى الأَوْتَارِ وَالْعِيدَانِ
وَهْيَ الْعَرُوبُ بِشَكْلِهَا وَبِدَلِّهَا … وَتَحَبُّبٍ لِلزَّوْجِ كُلَّ أَوَانِ
وَهْيَ الَّتِي عِنْدَ الْجِمَاعِ تَزِيدُ فِي … حَرَكَاتِهَا لِلْعَيْنِ وَالأُذُنَانِ
لُطْفًا وَحُسْنَ تَبَعُّلٍ وَتَغَنُّجٍ … وَتَحَبُّبٍ تَفْسِيرَ ذِي الْعِرْفَانِ
تِلْكَ الْحَلاوَةُ وَالْمَلاحَةُ أَوْجَبَا … إِطْلاَقَ هَذَا اللَّفْظِ وَضْعَ لِسَانِ
فَمَلاَحَةُ التَّصْوِيرِ قَبْلَ غِنَاجِهَا … هِيَ أَوَّلٌ وَهْيَ الْمَحَلُّ الثَّانِي
فَإِذَا هُمَا اجْتَمَعَا لِصَبٍّ وَامِقٍ … بَلَغَتْ بِهِ اللَّذَاتُ كُلَّ مَكَانِ

فصل

أَتْرَابُ سِنٌّ وَاحِدٍ مُتَمَاثِلٍ … سِنُّ الشَّبَابِ لأَجْمَلِ الشُّبَّانِ
بِكْرٌ فَلَمْ يَأْخُذْ بَكَارَتَهَا سِوَى الْـ … ـمَحْبُوبِ مِنْ إِنْسٍ وَلاَ مِنْ جَانِ
حِصْنٌ عَلَيْهِ حَارِسٌ مِنْ أَعْظَمِ الْـ … ـحُرَّاسِ بَأْسًا شَأْنُهُ ذُو شَانِ
فَإِذَا أَحَسَّ بِدَاخِلٍ لِلْحِصْنِ وَلْـ … ـلَّى هَارِبًا فَتَرَاهُ ذَا إِمْعَانِ
وَيَعُودُ وَهْنًا حِينَ رَبُّ الْحِصْنِ يَخْـ … ـرُجُ مِنْهُ فَهْوَ كَذَا مَدَى الأَزْمَانِ
وَكَذَا رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَّهَا … تَنْصَاغُ بِكْرًا لِلْجِمَاعِ الثَّانِي
لَكِنَّ دَرَّاجًا أَبَا السَّمْحِ الَّذِي … فِيهِ يُضَعِّفُهُ أُولُو الإِتْقَانِ
هَذَا وَبَعْضُهُمُ يُصَحِّحُ عَنْهُ فِي التَّـ … ـفْسِيرِ كَالْمَوْلُودِ مِنْ حِبَّانِ
فَحَدِيثُهُ دُونَ الصَّحِيحِ وَإِنَّهُ … فَوْقَ الضَّعِيفِ وَلَيْسَ ذَا إِتْقَانِ
يُعْطَى الْمُجَامِعُ قُوَّةَ الْمِائَةِ الَّتِي اجْـ … ـتَمَعَتْ لأَقْوَى وَاحِدِ الإِنْسَانِ
لاَ أَنَّ قُوَّتَهُ تَضَاعَفُ هَكَذَا … إِذْ قَدْ يَكُونُ لأَضْعَفِ الأَرْكَانِ
وَيَكُونُ أَقْوَى مِنْهُ ذَا نَقْصٍ مِنَ الْـ … إِيمَانِ وَالأَعْمَالِ وَالإِحْسَانِ
وَلَقَدْ رَوَيْنَا أَنَّهُ يَغْشَى بِيَوْ … مٍ وَاحِدٍ مِائَةً مِنَ النِّسْوَانِ

وَرِجَالُهُ شَرْطُ الصَّحِيحِ رَوَوْا لَهُمْ … فِيهِ وَذَا فِي مُعْجَمِ الطَّبَرَانِي
هَذَا دَلِيلٌ أَنَّ قَدْرَ نِسَائِهِمْ … مُتَفَاوِتٌ بِتَفَاوُتِ الإِيْمَانِ
وَبِهِ يَزُولُ تَوَهُّمُ الإِشْكَالِ عَنْ … تِلْكَ النُّصُوصِ بِمِنَّةِ الرَّحْمَنِ
وَبِقُوَّةِ المِائَةِ الَّتِي حَصَلَتْ لَهُ … أَفْضَى إِلَى مِائَةٍ بِلاَ خَوَرَانِ
وَأَعَفُّهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا هُوَ الْـ … أَقْوَى هُنَاكَ لِزُهْدِهِ فِي الفَانِي
فَاجْمَعْ قُوَاكَ لِمَا هُنَاكَ وَغَمِّضِ الْـ … ـعَيْنَيْنِ وَاصْبِرْ سَاعَةً لِزَمَانِ
مَا هَا هُنَا وَاللهِ مَا يَسْوِي قُلاَ … مَةَ ظُفْرٍ وَاحِدَةٍ تُرَى بِجِنَانِ
مَا هَا هُنَا إِلاَّ النِّقَارُ وَسَيِّئُ الْـ … أَخْلاَقِ مَعْ عَيْبٍ وَمَعْ نُقْصَانِ
هَمٌّ وَغَمٌّ دَائِمٌ لاَ يَنْتَهِي … حَتَّى الطَّلاَقِ أَوِ الفِرَاقِ الثَّانِي
وَاللهُ قَدْ جَعَلَ النِّسَاءَ عَوَانِيًا … شَرْعًا فَأَضْحَى البَعْلُ وَهُوَ العَانِي
لاَ تُؤْثِرِ الأَدْنَى عَلَى الأَعْلَى فَإِنْ … تَفْعَلْ رَجَعْتَ بِذِلَّةٍ وَهَوَانِ

فصل

وَإِذَا بَدَتْ فِي حُلَّةٍ مِنْ لِبْسِهَا … وَتَمَايَلَتْ كَتَمَايُلِ النَّشْوَانِ
تَهْتَزُّ كَالغُصْنِ الرَّطِيبِ وَحَمْلُهُ … وَرْدٌ وَتُفَّاحٌ عَلَى رُمَّانِ
وَتَبَخْتَرَتْ فِي مَشْيِهَا وَيَحِقُّ ذَا … كَ لِمِثْلِهَا فِي جَنَّةِ الحَيَوَانِ
وَوَصَائِفٌ مِنْ خَلْفِهَا وَأَمَامِهَا … وَعَلَى شَمَائِلِهَا وَعَنْ أَيْمَانِ
كَالبَدْرِ لَيْلَةَ تِمِّهِ قَدْ حُفَّ فِي … غَسَقِ الدُّجَى بِكَوَاكِبِ المِيزَانِ
فَلِسَانُهُ وَفُؤَادُهُ وَالطَّرْفُ فِي … دَهَشٍ وَإِعْجَابٍ وَفِي سُبْحَانِ
فَالقَلْبُ قَبْلَ زِفَافِهَا فِي عُرْسِهِ … وَالعُرْسُ إِثْرَ العُرْسِ مُتَّصِلاَنِ
حَتَّى إِذَا مَا وَاجَهَتْهُ تَقَابَلاَ … أَرَأَيْتَ إِذْ يَتَقَابَلُ القَمَرَانِ
فَسَلِ المُتَيَّمَ هَلْ يَحِلُّ الصَّبْرُ عَنْ … ضَمٍّ وَتَقْبِيلٍ وَعَنْ فَلَتَانِ
وَسَلِ المُتَيَّمَ أَيْنَ خَلَّفَ صَبْرَهُ … فِي أَيِّ وَادٍ أَمْ بِأَيِّ مَكَانِ

وَسَلِ الْمُتَيَّمَ كَيْفَ حَالَتُهُ وَقَدْ ... مُلِئَتْ لَهُ الأُذْنَانِ وَالْعَيْنَانِ
مِنْ مَنْطِقٍ رَقَّتْ حَوَاشِيهِ وَوَجْـ ... ـهٍ كَمْ بِهِ لِلشَّمْسِ مِنْ جَرَيَانِ
وَسَلِ الْمُتَيَّمَ كَيْفَ عِيشَتُهُ إِذًا ... وَهُمَا عَلَىٰ فُرُشَيْهِمَا خَلْوَانِ
يَتَسَاقَطَانِ لآلِئًا مَنْثُورَةً ... مِنْ بَيْنِ مَنْظُومٍ كَنَظْمِ جُمَانِ
وَسَلِ الْمُتَيَّمَ كَيْفَ مَجْلِسُهُ مَعَ الْـ ... ـمَحْبُوبِ فِي رَوْحٍ وَفِي رَيْحَانِ
وَتَدُورُ كَاسَاتُ الرَّحِيقِ عَلَيْهِمَا ... بِأَكُفِّ أَقْمَارٍ مِنَ الْوِلْدَانِ
يَتَنَازَعَانِ الْكَأْسَ هَذَا مَرَّةً ... وَالْخَوْدُ أُخْرَىٰ ثُمَّ يَتَّكِئَانِ
فَيَضُمُّهَا وَتَضُمُّهُ أَرَأَيْتَ مَعْـ ... ـشُوقَيْنِ بَعْدَ الْبُعْدِ يَلْتَقِيَانِ
غَابَ الرَّقِيبُ وَغَابَ كُلُّ مُنَكِّدٍ ... وَهُمَا بِثَوْبِ الْوَصْلِ مُشْتَمِلانِ
أَتَرَاهُمَا ضَجِرَيْنِ مِنْ ذَا الْعَيْشِ لا ... وَحَيَاةِ رَبِّكَ مَا هُمَا ضَجِرَانِ
وَيَزِيدُ كُلٌّ مِنْهُمَا حُبًّا لِصَا ... حِبِهِ جَدِيدًا سَائِرَ الأَزْمَانِ
وَوِصَالُهُ يَكْسُوهُ حُبًّا بَعْدَهُ ... مُتَسَلْسِلاً لا يَنْتَهِي بِزَمَانِ
فَالْوَصْلُ مَحْفُوفٌ بِحُبٍّ سَابِقٍ ... وَبِلاحِقٍ وَكِلاهُمَا صِنْوَانِ
فَرْقٌ لَطِيفٌ بَيْنَ ذَاكَ وَبَيْنَ ذَا ... يَدْرِيهِ ذُو شُغُلٍ بِهَذَا الشَّانِ
وَمَزِيدُهُمْ فِي كُلِّ وَقْتٍ حَاصِلٌ ... سُبْحَانَ ذِي الْمَلَكُوتِ وَالسُّلْطَانِ
يَا غَافِلاً عَمَّا خُلِقْتَ لَهُ انْتَبِهْ ... جَدَّ الرَّحِيلُ فَلَسْتَ بِالْيَقْظَانِ
سَارَ الرِّفَاقُ وَخَلَّفُوكَ مَعَ الأُلَىٰ ... قَنِعُوا بِذَا الْحَظِّ الْخَسِيسِ الْفَانِي
وَرَأَيْتَ أَكْثَرَ مَنْ تَرَىٰ مُتَخَلِّفًا ... فَتَبِعْتَهُمْ وَرَضِيتَ بِالْحِرْمَانِ
لَكِنْ أَتَيْتَ بِخُطَّتَيْ عَجْزٍ وَجَهْـ ... ـلٍ بَعْدَ ذَا وَصَحِبْتَ كُلَّ أَمَانِ
مَنَّتْكَ نَفْسُكَ بِاللِّحَاقِ مَعَ الْقُعُو ... دِ عَنِ الْمَسِيرِ وَرَاحَةِ الأَبْدَانِ
وَلَسَوْفَ تَعْلَمُ حِينَ يَنْكَشِفُ الْغِطَا ... مَاذَا صَنَعْتَ وَكُنْتَ ذَا إِمْكَانِ

اهـ. كلامه.

وقال القحطاني في نونيته (ص٤٣-٤٤):

اعرض عن النسوان جهدك وانتدب لعناق خيرات هناك حسان
في جنة طابت وطاب نعيمها من كل فاكهة بها زوجان
أنهارها تجري لهم من تحتهم محفوفة بالنخل والرمان
غرفاتها من لؤلؤ وزبرجد وقصورها من خالص العقيان
قصرت بها للمتقين كواعبًا شبهن بالياقوت والمرجان
بيض الوجوه شعورهن حوالك حمر الخدود عواتق الأجفان
فلج الثغور إذا ابتسمن ضواحكًا هيف الخصور نواعم الأبدان
خضر الثياب ثديهن نواهد صفر الحلي عواطر الأردان
طوبى لقوم هن أزواج لهم في دار عدن في محل أمان
يسقون من خمر لذيذ شربها بأنامل الخدام والولدان
لو تنظر الحوراء عند وليها وهما فويق الفرش متكئان
يتنازعان الكأس في أيديهما وهما بلذة شربها فرحان
ولربما تسقيه كأسًا ثانيًا وكلاهما برضابها حلوان
يتحدثان على الأرائك خلوة وهما بثوب الوصل مشتملان
أكرم بجنات النعيم وأهلها إخوان صدق أيما إخوان
جيران رب العالمين وحزبه أكرم بهم في صفوة الجيران

* * *

محبة الله ورسوله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - ومحبة عباد الله الصالحين

وَقَالَ اللهُ -جَلَّ فِي عُلَاهُ-: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴾ [البقرة:١٦٥].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران:٣١].

وقال الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة:٥٤].

وقال تعالى عن سليمان ؑ: ﴿ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴾ [ص:٣٢].

وَعَن أَنَسِ بنِ مَالِكٍ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- مَتَى السَّاعَةُ يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «مَا أَعدَدتَ لَهَا؟» قَالَ: مَا أَعدَدتُ لَهَا مِن كَثِيرِ صَلَاةٍ، وَلَا صَومٍ، وَلَا صَدَقَةٍ؛ وَلَكِنِّي أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، قَالَ: «أَنتَ مَعَ مَن أَحبَبتَ». رواه البخاري برقم (٦١٧١) ومسلم(٢٦٣٩).

وَعَن أَبِي هُرَيرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-: «إِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ عَبدًا دَعَا جِبرِيلَ فَقَالَ إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، قَالَ فَيُحِبُّهُ جِبرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ، فَيَقُولُ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهلُ السَّمَاءِ قَالَ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ القَبُولُ فِي الأَرضِ،

وَإِذَا أَبغَضَ عَبدًا دَعَا جِبرِيلَ فَيَقُولُ: إِنِّي أُبغِضُ فُلَانًا فَأَبغِضهُ، قَالَ فَيُبغِضُهُ جِبرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللهَ يُبغِضُ فُلَانًا فَأَبغِضُوهُ، قَالَ فَيُبغِضُونَهُ ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ البَغضَاءُ فِي الأَرضِ». رواه البخاري برقم (٧٤٥٨) ومسلم (٢٦٣٧) وهذا لفظه.

وَعَن أَبِي هُرَيرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَليهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-: «إِنَّ اللهَ قَالَ: مَن عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَد آذَنتُهُ بِالحَربِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبدِي بِشَيءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افتَرَضتُ عَلَيهِ، وَمَا يَزَالُ عَبدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ؛ فَإِذَا أَحبَبتُهُ كُنتُ سَمعَهُ الَّذِي يَسمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبطِشُ بِهَا، وَرِجلَهُ الَّتِي يَمشِي بِهَا؛ وَإِن سَأَلَنِي لَأُعطِيَنَّهُ، وَلَئِن استَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدتُ عَن شَيءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَن نَفسِ المُؤمِنِ، يَكرَهُ المَوتَ وَأَنَا أَكرَهُ مَسَاءَتَهُ».رواه البخاري برقم (٦٥٠٢).

وعَن عَائِشَةَ زَوجِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَليهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-: أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَليهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- بَعَثَ رَجُلًا عَلَى سَرِيَّةٍ، وَكَانَ يَقرَأُ لِأَصحَابِهِ فِي صَلَاتِهِم فَيَختِمُ بِـ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَليهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-، فَقَالَ: «سَلُوهُ لِأَيِّ شَيءٍ يَصنَعُ ذَلِكَ» فَسَأَلُوهُ، فَقَالَ: لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحمَنِ، وَأَنَا أُحِبُّ أَن أَقرَأَ بِهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَليهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-: «أَخبِرُوهُ أَنَّ اللهَ يُحِبُّهُ».

رواه البخاري برقم (٧٣٧٥) ومسلم(٨١٣).

وَعَن أَنَسِ بنِ مَالِكٍ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَليهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «ثَلَاثٌ مَن كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ: مَن كَانَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَمَن أَحَبَّ عَبدًا لَا يُحِبُّهُ إِلَّا للهِ ﷻ، وَمَن يَكرَهُ أَن يَعُودَ فِي الكُفرِ بَعدَ إِذ أَنقَذَهُ اللهُ مِنهُ كَمَا يَكرَهُ أَن يُلقَى فِي النَّارِ». رواه البخاري برقم (٢١) ومسلم(٤٣).

عَن أَبِي هُرَيرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَليهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-: «إِنَّ اللهَ يَقُولُ يَومَ القِيَامَةِ أَينَ المُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي؟ اليَومَ أُظِلُّهُم فِي ظِلِّي يَومَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي». رواه مسلم برقم (٢٥٦٦).

وَعَن أَبِي هُرَيرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «سَبعَةٌ يُظِلُّهُم اللهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَومَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَدلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ الله ، وَرَجُلٌ قَلبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي الله ؛ اجتَمَعَا عَلَيهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيهِ، وَرَجُلٌ دَعَتهُ امرَأَةٌ ذَاتُ مَنصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخفَاهَا حَتَّى لَا تَعلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَت عَينَاهُ».

رواه البخاري برقم (١٤٢٣) ومسلم(١٠٣١).

وَعَن أَبِي إِدرِيسَ الخَولَانِيِّ أَنَّهُ قَالَ: دَخَلتُ مَسجِدَ دِمَشقَ فَإِذَا فَتًى شَابٌّ بَرَّاقُ الثَّنَايَا، وَإِذَا النَّاسُ مَعَهُ إِذَا اختَلَفُوا فِي شَيءٍ أَسنَدُوا إِلَيهِ، وَصَدَرُوا عَن قَولِهِ، فَسَأَلتُ عَنهُ، فَقِيلَ: هَذَا مُعَاذُ بنُ جَبَلٍ، فَلَمَّا كَانَ الغَدُ هَجَّرتُ فَوَجَدتُهُ قَد سَبَقَنِي بِالتَّهجِيرِ، وَوَجَدتُهُ يُصَلِّي، فَانتَظَرتُهُ حَتَّى قَضَى صَلَاتَهُ، ثُمَّ جِئتُهُ مِن قِبَلِ وَجهِهِ فَسَلَّمتُ عَلَيهِ، ثُمَّ قُلتُ: وَالله إِنِّي لَأُحِبُّكَ لله! فَقَالَ: آلله؟ فَقُلتُ: آلله. فَقَالَ: آلله؟ فَقُلتُ: آلله. فَقَالَ: آلله؟ فَقُلتُ: آلله. قَالَ: فَأَخَذَ بِحُبوَةِ رِدَائِي فَجَبَذَنِي إِلَيهِ، وَقَالَ: أَبشِر فَإِنِّي سَمِعتُ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ:« قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: وَجَبَت مَحَبَّتِي لِلمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَالمُتَجَالِسِينَ فِيَّ، وَالمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَالمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ».

قال شيخ الإسلام ابن القيم رحمه الله في الداء والدواء (ص٣٥٠-٣٥٥):

اعلم أن أنفع المحبة على الإطلاق؛ وأوجبها، وأعلاها، وأجلها؛ محبة من جبلت القلوب على محبته، وفطرت الخليقة على تألهه، وبها قامت الأرض والسموات، وعليها فطر المخلوقات: وهي سر شهادة أن لا إله إلا الله، فإن الإله هو الذي تألهه القلوب بالمحبة، والإجلال، والتعظيم، والذل، والخضوع، وتعبده.

والعبادة لا تصح إلا له وحده، والعبادة: هي كمال الحب، مع كمال الخضوع، والذل.

والشرك في هذه العبودية، من أظلم الظلم الذي لا يغفره الله، والله سبحانه يحب لذاته، من سائر الوجوه، وما سواه فإنما يحب تبعًا لمحبته.

وقد دل على وجوب محبته سبحانه :

١ – جميع كتبه المنزلة.

٢ – ودعوة جميع رسله –صلى الله عليهم وسلم أجمعين–.

٣ – وفطرته التي فطر عليها عباده.

٤ – وما ركب فيها من العقول.

٥ – وما أسبغ عليهم من النعم. فإن القلوب مفطورة مجبولة على محبة من أنعم عليها، وأحسن إليها، فكيف بمن كل الإحسان منه، وما بخلقه جميعهم من نعمه وحده لا شريك له، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ الآية [النحل:٥٣].

٦ – وما تعرف به إلى عباده؛ من أسمائه الحسنى، وصفاته العليا.

٧ – وما دلت عليه آثار مصنوعاته من كماله ونهاية جلاله وعظمته، والمحبة لها داعيان: الجلال والجمال.

والرب تعالى له الكمال المطلق من ذلك، فإنه جميل يحب الجمال، بل الجمال كله له، والإجمال كله منه فلا يستحق أن يحب لذاته من كل وجه سواه، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٣١]، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ الآية [المائدة: ٥٤]، والولاية أصلها الحب فلا موالاة إلا بحب، كما أن العداوة أصلها البغض، والله ولي الذين آمنوا وهم أولياؤه، فهم يوالونه بمحبتهم له، وهو يواليهم بمحبته لهم، فالله يوالي عبده المؤمن بحسب محبته له؛ ولهذا أنكر سبحانه على من اتخذ من دونه أولياء بخلاف من والى أولياءه فإنه لم يتخذهم من دونه بل موالاته لهم من تمام موالاته، وقد أنكر على من سوَّى بينه وبين غيره في المحبة، وأخبر أن من فعل ذلك فقد اتخذ ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥]، وأخبر عمن سوي بينه وبين الأنداد في المحبة؛ أنهم يقولون في النار لمعبوديهم: ﴿ تَٱللَّهِ

﴿إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء:٩٧-٩٨]، وبهذا التوحيد في المحبة أرسل الله سبحانه جميع رسله -صلى الله عليهم وسلم-، وأنزل جميع كتبه، وأطبقت عليه دعوة جميع الرسل -عليهم الصلاة والسلام- من أولهم إلى آخرهم، ولأجله خلقت السموات والأرض، والجنة والنار، فجعل الجنة لأهله، والنار للمشركين به، وفيه، وقد أقسم النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- أنه: «**لا يؤمن عبد حتى يكون هو أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين**»[(١)] فكيف بمحبة الرب ﷻ، وقال لعمر بن الخطاب ﷺ: «**لا حتى أكون أحب إليك من نفسك**»[(٢)] أي: لا تؤمن حتى تصل محبتك لي إلى هذه الغاية، فإذا كان النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- أولى بنا من أنفسنا بالمحبة، ولوازمها، أفليس الرب جَلَّ جلاله وتقدست أسماؤه وتبارك اسمه، وتعالى جده، ولا إله غيره أولى بمحبته، وعبادته من أنفسهم، وكل ما منه إلى عبده المؤمن يدعوه إلى محبة ما يحب العبد، ويكرهه، فعطاؤه ومنعه، ومعافاته، وابتلاؤه، وقبضه، وبسطه، وعدله، وفضله، وإماتته، وإحياؤه، ولطفه، وبره، ورحمته، وإحسانه، وستره، وعفوه، وحلمه، وصبره على عبده، وإجابته لدعائه، وكشف كربه، وإغاثة لهفته، وتفريج كربته من غير حاجة منه إليه.

بل مع غناه التام عنه من جميع الوجوه كل ذلك داعٍ للقلوب إلى تألهه ومحبته، بل تمكينه عبده من معصيته وإعانته عليه، وستره حتى يقضي وطره منها،وكلاءته وحراسته له، وهو يقضي وطره من معصيته، وهو يعينه، ويستعين عليها بنعمه؛ من أقوى الدواعي إلى محبته، فلو أن مخلوقًا فعل بمخلوق أدنى شيء من ذلك لم يملك قلبه عن محبته، فكيف لا يحب العبد بكل قلبه وجوارحه من يحسن إليه على الدوام بعدد الأنفاس، مع إساءته فخيره إليك نازل، وشرك إليه صاعد، يتحبب إليه بنعمه، وهو غني عنه، والعبد يتبغض

---

(١) رواه البخاري برقم (١٥)، ومسلم برقم (٤٤) عن أنس ﷺ، والبخاري برقم (١٤) عن أبي هريرة ﷺ.

(٢) رواه البخاري برقم(٦٦٣٢) عن عبد الله بن هشام ﷺ.

إليه بالمعاصي، وهو فقير إليه، فلا إحسانه، وبره، وإنعامه، عليه يصده عن معصيته، ولا معصية العبد ولومه يقطع إحسان ربه عنه، فألأم اللؤم تخلف القلوب عن محبة من هذا شأنه، وتعلقها بمحبة سواه، وأيضًا فكل من تحبه من الخلق أو يحبك إنما يريدك لنفسه، وغرضه منك والرب ﷻ يريد لك، كما في الأثر الآلهي: عبدي كل يريدك لنفسه، وأنا أريدك لك؛ فكيف لا يستحيي العبد أن يكون ربه له بهذه المنزلة وهو معرض عنه مشغول بحب غيره، وقد استغرق قلبه محبة ما سواه؟!

وأيضًا فكل من تعامله من الخلق إن لم يربح عليك لم يعاملك، ولابد له من نوع من أنواع الربح، والرب تعالى إنما يعاملك عليه أعظم الربح وأعلاه، فالدرهم بعشرة أمثاله إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، والسيئة بواحدة. وهي أسرع شيء محوًا، وأيضًا فهو سبحانه خلقك لنفسه، وكل شيء خلق لك في الدنيا والآخرة، فمن أولى منه باستفراغ الوسع في محبته، وبذل الجهد في مرضاته.

وأيضًا فمطالبك بل مطالب الخلق كلهم جميعًا لديه، وهو أجود الأجودين، وأكرم الأكرمين، ويعطي عبده قبل أن يسأله فوق ما يؤمله، يشكر على القليل من العمل وينميه، ويغفر الكثير من الزلل ويمحوه، ويسأله من في السموات والأرض، كل يوم هو في شأن، لا يشغله سمع عن سمع، ولا يغلطه كثرة المسائل، ولا يتبرم بإلحاح الملحين؛ بل يحب الملحين في الدعاء، ويحب أن يُسأل ويغضب إذا لم يُسأل، فيستحي من عبده حيث لا يستحي العبد منه، ويستره حيث لا يستر نفسه، ويرحمه حيث لا يرحم نفسه، دعاه بنعمته، وإحسانه، وناداه إلى كرامته ورضوانه، فأبى، فأرسل رسله في طلبه، وبعث معهم إليه عهده، ثم نزل سبحانه بنفسه، وقال: من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟ أدعوك للوصل فتأبى، أبعث رسلي في الطلب، أنزل إليك بنفسي، ألقاك في النوم، وكيف لا تحب القلوب من لا يأتي بالحسنات إلا هو، ولا يذهب بالسيئات إلا هو، ولا يجيب الدعوات، ويقيل العثرات، ويغفر الخطيئات، ويستر العورات، ويكشف الكربات، ويغيث اللهفات، وينيل

الطلبات سواه، فهو أحقُّ من ذُكِرَ، وأحق من شُكِرَ، وأحق من حُمِدَ، وأحق من عُبِدَ، وأنصر من ابتُغي، وأرأف من مَلَكَ، وأجود من سُئِلَ، وأوسع من أعطى، وأرحم من استرحم، وأكرم من قُصِدَ، وأعز من التُجئ إليه، وأكفى من توكل عليه، أرحم بعبده من الوالدة بولدها، وأشد فرحًا بتوبة عباده التائبين من الفاقد لراحلته، التي عليها طعامه وشرابه في الأرض المهلكة إذا يئس من الحياة فوجدها.

وهو الملك فلا شريك له، والفرد فلا ند له، كل شيء هالك إلا وجهه، لن يطاع إلا بإذنه، ولن يعصى إلا بعلمه، يطاع فيشكر، وبتوفيقه ونعمته أطيع. ويعصى فيغفر، ويعفو، وحقه أُضِيع؛ فهو أقرب شهيد، وأدنى حفيظ، وأوفى وفيٍّ بالعهد، وأعدل قائم بالقسط، حال دون النفوس، وأخذ بالنواصي، وكتب الآثار، ونسخ الآجال، فالقلوب له مفضية، والسر عنده علانية، والعلانية والغيوب لديه مكشوف، وكل أحد إليه ملهوف، وعنت الوجوه لنور وجهه، وعجزت القلوب عن إدراك كنهه، ودلت الفطرة والأدلة كلها على امتناع مثله، وشبهه، أشرقت لنور وجهه الظلمات، واستنارت له الأرض والسموات، وصلحت عليه جميع المخلوقات، لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفظ القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه بالنور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه:

ما اعتاض باذل حبه لسواه من عوض ولو ملك الوجود بأسره. اهـ

* * *

شبهة وجوابها

يروى حديث: «من عَشِقَ فعفَّ فمات فهو شَهِيدٌ».

وهذا الحديث موضوع، وقد أُنكر على سويد بن سعيد.

رواه الخطيب في تاريخ بغداد (٥/ ١٥٦و٦/ ٥١و ١١/ ٢٩٨) وابن الجوزي في العلل المتناهية(٢/ ٧٧١).

و قال ابن القيم في الداء والدواء (ص٣٧٢):

وقد أنكره حفاظ الإسلام عليه، قال ابن عدي في كامله:

هذا الحديث أحد ما أُنكر على سويد.

وكذلك ذكره البيهقي، وابن طاهر في الذخيرة، والتذكرة، وأبو الفرج بن الجوزي، وعده من الموضوعات. وأنكره أبو عبد الله الحاكم على تساهله، وقال أنا أتعجب منه. اهـ

وقال ابن معين كما في المجروحين لابن حبان (١/ ٣٥٢):

لو كان لي فرس ورمح لكنت غزوت سويد بن سعيد.

وراجع الدء والدواء (ص٣٧٢-٣٧٥)، وزاد المعاد (٤/ ٢٧٥-٢٧٨) لابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ، وسلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للعلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ (١/ برقم ٤٠٩).

صرعى عشاق الصور

١) عنترة بن شداد أبو المغلس:

عشق عنترةُ بنتَ عمه عبلة، وقصته معروفة مشهورة في غرامه وعشقه لابنة عمه هذه، ومن شعره في ذلك:

رمت الفؤاد مليحة عذراء ... بسهام لحظ ما لهن دواء

مرت أوان العيد بين نواهد ... مثل الشموس لحاظهن ظباء

فاغتالني سقمي الذي في باطني ... أخفيته فأذاعه الإخفاء ...إلخ

اهـ. من ديوان عنترة (ص٢١)

ومن شعره في ديوانه (ص٢٧):

وهلاكي في الحب أهون عندي ... من حياتي إذا جفاني الحبيب

وعنترة هو الفارس الطعان، الشجاع، المعروف الذي كان يهابه فحول الفرسان، انظر كيف يذل أمام عزة، ويفضل هلاكه على جفوها له.

وفي ديوانه (ص١١٥) قال:

عذابك يا ابنة السادات سهل ... وجور أبيك إنصاف وعدل

فجوروا واطلبوا قتلي وظلمي ... وتعذيبي فإني لا أمل

وفي ديوانه (ص١٨٧-١٨٨):

أتانـــي طـــيف[1] عـــبلة في المـنام فقبلنـــــي ثلاثـــا في اللـــثام
وودعنـــي فأودعنـــي لـهيـــبًا أُسَـــتِّرُه ويشـــعل في عظامـــي
ولـــولا أننـــي أخلـــو بنفســـي وأطفـــئ بالدمـــوع جـوىٰ غرامـــي
لَـمُـتُّ أسًىٰ وكـم أشـكو لأنـي أغـــار علـيك يـــا بـــدر الـتمام

إلى أن قال:

رضـيت بـحـبها طـوعًا وكـرهًا فهـل أحظـىٰ بهـا قـبل الـحمـام

إلى أن قال:

لعمـــر أبـــيك لا أســـلو هـــواها لـــو طحـــنت محبـــتها عظامـــي

٢) مجنون ليلى، واسمه: قيس بن الملوح .

قال الإمام الذهبي: في سير أعلام النبلاء (٤/ ٥-٧):

وقد أنكر بعضهم ليلى والمجنون، وهذا دفع بالصدر، فما من لم يعلم حجة على من عنده علم، ولا المثبت كالنافي، لكن إذا كان المثبت لشئ شبه خرافة، والنافي ليس غرضه دفع الحق، فهنا النافي مقدم، وهنا تقع المكابرة وتسكب العبرة.

فقيل: إن المجنون علق ليلى علاقة الصبا وكانا يرعيان البهم.

ألا تسمع قوله، وما أفحل شعره:

تعلقـــت ليلـىٰ وهـــي ذات ذؤابـــة ولـــم يبد للأتراب من ثديها حجم

(١) أي: خيالها.

صغيرين نرعى البهم يا ليت أننا ... إلى اليوم لم نكبر ولم تكبر البهم

وعلقته هي أيضًا، ووقع بقلبها.

وهو القائل:

أظن هواها تاركي بمضلة ... من الأرض لا مال لدي ولا أهل

ولا أحد أقضي إليه وصيتي ... ولا وارث إلا المطية والرحل

محا حُبها حب الألى كن قبلها ... وحلت مكانًا لم يكن حل من قبل

فاشتد شغفه بها حتى وسوس وتخبل في عقله فقال:

إني لأجلس في النادي أحدثهم ... فأستفيق وقد غالتني الغول

يهوي بقلبي حديث النفس نَحوكم ... حتى يقول جليسي أنت مَخبول

قال أبو عبيدة: تزايد به الأمر حتى فقد عقله، فكان لا يؤويه رحل ولا يعلوه ثوب إلا مزقه.

ويقال: إن قوم ليلى شكوا المجنون إلى السلطان، فأهدر دمه، وترحل قومها بها.

فجاء وبقي يتمرغ في المحلة، ويقول:

أيا حرجات الْحَي حيث تَحملوا ... بذي سلم لا جادكن ربيع

وخيماتك اللاتي بِمنعرج اللوى ... بلين بلًى لم تبلهن ربوع

وقيل: إن قومه حجوا به ليزور النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-[1] ويدعو، حتى إذا كان بمنى سمع نداء: يا ليلى، فغشي عليه، وبكى أبوه فأفاق يقول:

---

(١) السفر لزيارة القبر بدعة كما هو معلوم، ولكن هؤلاء لعلهم جهلة.

وداعٍ دعا إذ نَحن بالخيف من منىٰ — فهيج أطراب الفؤاد ولم يدر
دعا باسم ليلىٰ غيرها فكأنما — أطار بليلىٰ طائرًا كان في صدري

وجزعت هي لفراقه وضنيت.

وقيل: إن أباه قيده، فبقي يأكل لحم ذراعيه، ويضرب بنفسه فأطلقه، فهام في الفلاة، فوجد ميتًا، فاحتملوه إلى الحي وغسلوه ودفنوه.

وكثر بكاء النساء والشباب عليه.

وقيل: إنه كان يأكل من بقول الأرض، وألفته الوحش، وكان يكون بنجد فساح حتى حدود الشام. اهـ

ولا أدل على جنونه بسبب عشق ليلى من اسمه الذي لُقب به «مجنون ليلى» حتى نُسب إليها، نسأل الله السلامة والعافية.

٣) كُثَيِّر عزة، وهو أبو صخر كُثَيِّر بن عبد الرحمن بن أبي جمعة الخزاعي.

عشق عزة بنت جميل بن إياس بلغ به عشقه وجنونه بعزة أن نُسب إليها .

قال ابن خَلِّكَان في وفيات الأعيان(٤/ ١٠٩):

وكان لكثير غلام عطار بالمدينة، وربما باع نساء العرب بالنسيئة، فأعطى عزة وهو لا يعرفها شيئًا من العطر، فمطلته أيامًا، وحضرت إلى حانوته في نسوة فطالبها: فقالت له: حبًّا وكرامة، ما أقرب الوفاء وأسرعه، فأنشد متمثلًا:

قضىٰ كل ذي دين فوفىٰ غريمه — وعزة ممطول معنىٰ غريمها

فقالت النسوة: أتدري من غريمتك قال: لا والله، فقلن: هي والله عزة فقال: أشهدكن الله أنها في حل مما لي قبلها، ثم مضى إلى سيده فأخبره بذلك، فقال كثير:

وأنا أشهد الله أنك حر لوجهه، ووهبه جميع ما في حانوت العطر، فكان ذلك من عجائب الاتفاق. اهـ

وقال ابن العماد في شذرات الذهب (١/ ١٣٢):

وكان من غلاة الشيعة الموقنين بالرجعة.

وصرعى العشق كثير؛ وقد ألف الإمام السراج كتابًا (مكونًا من جزأين) بعنوان «مصارع العشاق»، وكذا الإمام ابن الجوزي له كتاب بعنوان: «ذم الهوى» ذكرا فيهما عددًا كبيرًا مما ثبت ومما لم يثبت، فلا أطيل عليك بذكر حكايات المفتونين من العشاق؛ وأحيلك على مليئين؛ على أن ما ذكرت من الأدلة فيه كفاية: ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق:٣٧].

* * *

مصارع عشاق الدنيا

قال الله -جلَّ في علاه-: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (١٤) قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [آل عمران:١٤-١٥].

وقال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [البقرة:٢١٢].

وقال المولى -جلَّ وعزَّ-: ﴿ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾ [لقمان: ٣٣].

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾ [فاطر:٥].

ولقد ذمَّ الله ﷻ الدنيا بأبشع ذم في كتابه الكريم، وعلى لسان رسله -عليهم السلام-، فقال -جلَّ في علاه-: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [يونس:٢٤].

وقال الله -تبارك وتعالى-: ﴿ وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ

ﵟٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَﵞ [العنكبوت:٦٤].

وقال الله ﷻ: ﵟوَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًاﵞ [الكهف:٤٥].

وقال الله تعالى: ﵟمَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ ١٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَﵞ [هود:١٥-١٦].

وقال الله -تبارك وتعالى-: ﵟٱلَّذِينَ يَسۡتَحِبُّونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖﵞ [إبراهيم:٣].

وقال تعالى: ﵟذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَﵞ [النحل:١٠٧].

فمن اغتر بالدنيا وصرعته كانت نصيبه، قال الله -جلَّ في علاه-: ﵟمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍﵞ [الشورى:٢٠].

ولك عبرة بقارون، قال الله -جل في علاه-: ﵟ۞إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ٧٦ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٧٧ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٧٨ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو

حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص:٧٦-٨٣].

عَن عَمرِو بن عَوفٍ الأَنصَارِيِّ -وَهُوَ حَلِيفٌ لِبَنِي عَامِرِ بنِ لُؤَيٍّ وَكَانَ شَهِدَ بَدرًا-: أَنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- بَعَثَ أَبَا عُبَيدَةَ بنَ الجَرَّاحِ إِلَى البَحرَينِ يَأتِي بِجِزيَتِهَا، وَكَانَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- هُوَ صَالَحَ أَهلَ البَحرَينِ، وَأَمَّرَ عَلَيهِم العَلَاءَ بنَ الحَضرَمِيِّ، فَقَدِمَ أَبُو عُبَيدَةَ بِمَالٍ مِن البَحرَينِ، فَسَمِعَت الأَنصَارُ بِقُدُومِ أَبِي عُبَيدَةَ، فَوَافَت صَلَاةَ الصُّبحِ مَعَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-، فَلَمَّا صَلَّى بِهِم الفَجرَ، انصَرَفَ، فَتَعَرَّضُوا لَهُ فَتَبَسَّمَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- حِينَ رَآهُم، وَقَالَ: «أَظُنُّكُم قَد سَمِعتُم أَنَّ أَبَا عُبَيدَةَ قَد جَاءَ بِشَيءٍ؟» قَالُوا: أَجَل يَا رَسُولَ الله.

قَالَ: « فَأَبشِرُوا، وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُم؛ فَوَالله لَا الفَقرَ أَخشَى عَلَيكُم، وَلَكِن أَخشَى عَلَيكُم أَن تُبسَطَ عَلَيكُم الدُّنيَا، كَمَا بُسِطَت عَلَى مَن كَانَ قَبلَكُم، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهلِكَكُم كَمَا أَهلَكَتهُم».

رواه البخاري برقم(٣١٥٨) ومسلم برقم(٢٩٦١).

وقال تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنون:٥٥-٥٦].

وقال تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ [البقرة:٨٦].

وقال تعالى: ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴾ [البقرة: ٢٠٠].

وقال سبحانه:﴿ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَا ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾ [الأنعام:٧٠].

وقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۚ فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ [الأعراف:٥١].

وقد حقر الله الدنيا وأخبر أنه يعطي من شاء منها، ويمنع من شاء لحكمة؛ لا لأهمية الدنيا، قال تعالى: ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَن كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم

﴿مُنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾ [الزخرف:٣٢-٤٤].

وأمر تعالى بالصبر مع عباد الله؛ على طاعة الله -جل وعلا-، فقال: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف:٢٨].

وَعَن أَبِي هُرَيرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَليهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-: «**الدُّنيَا سِجنُ المُؤمِنِ وَجَنَّةُ الكَافِرِ**». رواه مسلم برقم(٢٩٥٦).

وَعَنِ المُستَورِدِ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَليهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-: «**وَالله مَا الدُّنيَا فِي الآخِرَةِ إِلَّا مِثلُ مَا يَجعَلُ أَحَدُكُم إِصبَعَهُ هَذِهِ -وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ- فِي اليَمِّ، فَليَنظُر بِمَ تَرجِعُ**». رواه مسلم برقم(٢٨٥٨).

وَعَن زَيدِ بنِ ثَابِتٍ قَالَ: سَمِعتُ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَليهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: «**نَضَّرَ اللهُ امرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ غَيرَهُ، فَإِنَّهُ رُبَّ حَامِلِ فِقهٍ لَيسَ بِفَقِيهٍ وَرُبَّ حَامِلِ فِقهٍ إِلَى مَن هُوَ أَفقَهُ مِنهُ.**

ثَلَاثُ خِصَالٍ لَا يَغِلُّ عَلَيهِنَّ قَلبُ مُسلِمٍ أَبَدًا: إِخلَاصُ العَمَلِ لله، وَمُنَاصَحَةُ وُلَاةِ الأَمرِ، وَلُزُومُ الجَمَاعَةِ، فَإِنَّ دَعوَتَهُم تُحِيطُ مِن وَرَائِهِم».

وَقَالَ: «**مَن كَانَ هَمُّهُ الآخِرَةَ: جَمَعَ اللهُ شَملَهُ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلبِهِ، وَأَتَتهُ الدُّنيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ. وَمَن كَانَت نِيَّتُهُ الدُّنيَا: فَرَّقَ اللهُ عَلَيهِ ضَيعَتَهُ، وَجَعَلَ فَقرَهُ بَينَ عَينَيهِ، وَلَم يَأتِهِ مِن الدُّنيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ**».

رواه أحمد (٥/ ١٨٣)، وهو صحيح.

علاج العشق

العشق مرض من الأمراض؛ وهو مرض فتاك، ومدمر؛ ولذلك لابد من العلاج لهذا المرض، لاسيما وَقَد قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَليهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-: «لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ، فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذنِ الله ﷻ». رواه مسلم برقم (٢٢٠٤) عَن جَابِرٍ ﷺ.

ورواه البخاري برقم (٥٦٧٨) عَن أَبِي هُرَيرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَليهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «مَا أَنزَلَ اللهُ دَاءً إِلَّا أَنزَلَ لَهُ شِفَاءً».

ورواه أحمد (١/ ٣٧٧) عَن عَبدِ الله بنِ مَسعُودٍ بِزِيَادَةٍ: «عَلِمَهُ مَن عَلِمَهُ وَجَهِلَهُ مَن جَهِلَهُ». وهو حسن.

فالحديث صحيح وقد جاء عن جماعة من الصحابة، انظر مجمع الزوائد للهيثمي رَحِمَهُ اللهُ (٥/ ٨٤-٨٥).

قال الإمام ابن القيم عليه رحمة الله في الزاد (٤/ ٢٧٢- ٢٧٥):

وَالمَقصُودُ أَنَّ العِشقَ لَـمَّا كَانَ مَرَضًا مِن الأَمرَاضِ، كَانَ قَابِلًا لِلعِلَاجِ، وَلَهُ أَنوَاعٌ مِن العِلَاجِ:

١ - فَإِن كَانَ مِمَّا لِلعَاشِقِ سَبِيلٌ إِلَى وَصلِ مَحبُوبِهِ شَرعًا وَقَدرًا فَهُوَ عِلَاجُهُ، كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَينِ[1] مِن حَدِيثِ ابنِ مَسعُودٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آله وَسَلَّمَ-: «يَا مَعشَرَ الشَّبَابِ مَن استَطَاعَ مِنكُم البَاءَةَ فَليَتَزَوَّج، وَمَن لَم

(١) البخاري برقم (٥٠٦٥) ومسلم برقم(١٤٠٠).

يَستَطِع فَعَلَيهِ بِالصَّومِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ».

فَدَل المُحِبّ عَلَى عِلَاجَينِ أَصلِيٍّ وَبَدَلِيٍّ. وَأَمَرَهُ بِالأَصلِيِّ وَهُوَ العِلَاجُ الَّذِي وُضِعَ لِهَذَا الدَّاءِ فَلَا يَنبَغِي العُدُولُ عَنهُ إِلَى غَيرِهِ مَا وَجَدَ إِلَيهِ سَبِيلًا.

وَرَوَى ابنُ مَاجَه فِي سُنَنِهِ[1] عَن ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آله وَسَلَّمَ- أَنَّهُ قَالَ: «لَم نَرَ لِلمُتَحَابينِ مِثلَ النِّكَاحِ».

وَهَذَا هُوَ المَعنَى الَّذِي أَشَارَ إِلَيهِ سُبحَانَهُ عَقِيبَ إِحلَالِ النِّسَاءِ حَرَائِرِهِنَّ وَإِمَائِهِنَّ عِندَ الحَاجَةِ بِقَولِهِ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا﴾ [النساء:٢٨]. فَذِكرُ تَخفِيفِهِ فِي هَذَا المَوضِعِ وَإِخبَارِهِ عَن ضَعفِ الإِنسَانِ يَدُلُّ عَلَى ضَعفِهِ عَن احتِمَالِ هَذِهِ الشَّهوَةِ وَأَنَّهُ - سُبحَانَهُ - خَفَّفَ عَنهُ أَمرَهَا بِمَا أَبَاحَهُ لَهُ مِن أَطَايِبِ النِّسَاءِ مَثنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ وَأَبَاحَ لَهُ مَا شَاءَ مِمَّا مَلَكَت يَمِينُهُ ثُمَّ أَبَاحَ لَهُ أَن يَتَزَوَّجَ بِالإِمَاءِ إِن احتَاجَ.

٢- وَمِن عِلَاجِ العِشقِ إِشعَارُ النَّفسِ اليَأسَ مِنهُ إِن كَانَ الوِصَالُ مُتَعَذِّرًا قَدرًا وَشَرعًا، وَإِن كَانَ لَا سَبِيلَ لِلعَاشِقِ إِلَى وِصَالِ مَعشُوقِهِ قَدرًا أَو شَرعًا، أَو هُوَ مُمتَنِعٌ عَلَيهِ مِن الجِهَتَينِ وَهُوَ الدَّاءُ العُضَالُ فَمِن عِلَاجِهِ إِشعَارُ نَفسِهِ اليَأسَ مِنهُ، فَإِنَّ النَّفسَ مَتَى يَئِسَت مِنَ الشَّيءِ استَرَاحَت مِنهُ وَلَم تَلتَفِت إِلَيهِ.

٣- فَإِن لَم يَزَل مَرَضُ العِشقِ مَعَ اليَأسِ فَقَد انحَرَفَ الطَّبعُ انحِرَافًا شَدِيدًا، فَيَنتَقِلُ إِلَى عِلَاجٍ آخَرَ وَهُوَ عِلَاجُ عَقلِهِ بِأَن يُعلَمَ بِأَنَّ تَعَلُّقَ القَلبِ بِمَا لَا مَطمَعَ فِي حُصُولِهِ نَوعٌ مِن الجُنُونِ، وَصَاحِبُهُ بِمَنزِلَةِ مَن يَعشَقُ الشَّمسَ، وَرُوحُهُ مُتَعَلِّقَةٌ بِالصُّعُودِ إِلَيهَا وَالدَّوَرَانِ مَعَهَا فِي فَلَكِهَا، وَهَذَا مَعدُودٌ عِندَ جَمِيعِ العُقَلَاءِ فِي زُمرَةِ المَجَانِينِ.

---

(١) صححه الألباني في الصحيحة برقم (٦٢٤).

٤- وَإن كَانَ الوِصَالُ مُتَعَذِّرًا شَرعًا لَا قَدرًا، فَعِلَاجُهُ بِأَن يُنزِلَهُ مَنزِلَةَ المُتَعَذِّرِ قَدرًا، إذ مَا لَم يَأذَن فِيهِ اللهُ، فَعِلَاجُ العَبدِ وَنَجَاتُهُ مَوقُوفٌ عَلَى اجتِنَابِهِ، فَليُشعِر نَفسَهُ أَنَّهُ مَعدُومٌ، مُمتَنِعٌ، لَا سَبِيلَ لَهُ إلَيهِ، وَأَنَّهُ بِمَنزِلَةِ سَائِرِ المُحَالَاتِ فَإن لَم تُجِبهُ النَّفسُ الأَمَّارَةُ فَليَترُكهُ لِأَحَدِ أَمرَينِ:

إمَّا خَشيَةٍ وَإمَّا فَوَاتِ مَحبُوبٍ هُوَ أَحَبُّ إلَيهِ، وَأَنفَعُ لَهُ، وَخَيرٌ لَهُ مِنهُ، وَأَدوَمُ لَذَّةً وَسُرُورًا، فَإنَّ العَاقِلَ مَتَى وَازَنَ بَينَ نَيلِ محبوب سَرِيعِ الزَّوَالِ، بِفَوَاتِ مَحبُوبٍ أَعظَمَ مِنهُ، وَأَدوَمَ، وَأَنفَعَ، وَأَلَذَّ، أو بِالعَكسِ ظَهَرَ لَهُ التَّفَاوُتُ.

فَلَا تَبع لَذَّةَ الأَبَدِ الَّتِي لَا خَطَرَ لَهَا، بِلَذَّةِ سَاعَةٍ تَنقَلِبُ آلَامًا، وَحَقِيقَتُهَا:

أَنَّهَا أَحلَامُ نَائِمٍ، أَو خَيَالٌ لَا ثَبَاتَ لَهُ، فَتَذهَبُ اللَّذَّةُ، وَتَبقَى التَّبِعَةُ، وَتَزُولُ الشَّهوَةُ، وَتَبقَى الشَّقوَةُ.

الثَّانِي: حُصُولُ مَكرُوهٍ أَشَقّ عَلَيهِ مِن فَوَاتِ هَذَا المَحبُوبِ، بَل يَجتَمِعُ لَهُ الأَمرَانِ أَعنِي: فَوَاتَ مَا هُوَ أَحَبّ إلَيهِ مِن هَذَا المَحبُوبِ، وَحُصُولَ مَا هُوَ أَكرَهُ إلَيهِ مِن فَوَاتِ هَذَا المَحبُوبِ.

فَإذَا تَيَقَّنَ -أَنّ فِي إعطَاءِ النَّفسِ حَظَّهَا مِن هَذَا المَحبُوبِ-: هَذَينِ الأَمرَينِ، هَانَ عَلَيهِ تَركُهُ، وَرَأَى أَنَّ صَبرَهُ عَلَى فَوتِهِ أَسهَلُ مِن صَبرِهِ عَلَيهِمَا بِكَثِيرٍ، فَعَقلُهُ، وَدِينُهُ، وَمُرُوءَتُهُ، وَإنسَانِيَّتُهُ تَأمُرُهُ بِاحتِمَالِ الضَّرَرِ، وَهَوَاهُ وَظُلمُهُ وَطَيشُهُ وَخِفَّتُهُ يَأمُرُهُ بِإيثَارِ هَذَا المَحبُوبِ العَاجِلِ، بِمَا فِيهِ جَالِبًا عَلَيهِ مَا جَلَبَ وَالمَعصُومُ مَن عَصَمَهُ اللهُ.

٥- فَإن لَم تَقبَل نَفسُهُ هَذَا الدَّوَاءَ، وَلَم تُطَاوِعهُ لِهَذِهِ المُعَالَجَةِ: فَليَنظُر مَا تَجلِبُ عَلَيهِ هَذِهِ الشَّهوَةُ مِن مَفَاسِدِ عَاجِلَتِهِ، وَمَا تَمنَعُهُ مِن مَصَالِحِهَا، فَإنَّهَا أَجلَبُ شَيءٍ لِمَفَاسِدِ الدّنيَا، وَأَعظَمُ شَيءٍ تَعطِيلًا لِمَصَالِحِهَا، فَإنَّهَا تَحُولُ بَينَ العَبدِ وَبَينَ رُشدِهِ الَّذِي هُوَ مِلَاكُ أَمرِهِ وَقِوَامُ مَصَالِحِهِ.

٦- فَإن لَم تَقبَل نَفسُهُ هَذَا الدَّوَاءَ: فَليَتَذَكَّر قَبَائِحَ المَحبُوبِ، وَمَا يَدعُوهُ إلَى

النَّفرةِ عَنهُ، فَإِنَّهُ إن طَلَبَها، وَتَأمَّلَها؛ وَجَدَها أَضعَافَ مَحَاسِنِهِ الَّتِي تَدعُو إِلَى حُبِّهِ، وَلِيَسأَل جِيرَانَهُ عَمَّا خَفِيَ عَلَيهِ مِنهَا، فَإِنَّهَا المَحَاسِنُ كَمَا هِيَ دَاعِيَةُ الحُبِّ، وَالإِرَادَةِ فَالمَسَاوِئُ دَاعِيَةُ البُغضِ، وَالنَّفرَةِ، فليوزان بَينَ الدَّاعِيَينِ، وَلِيُحِبَّ أَسبَقَهُمَا، وَأَقرَبَهُمَا مِنهَا بَابًا، وَلَا يَكُن مِمَّن غَرَّهُ لَونُ جَمَالٍ عَلَى جِسمٍ، أَبرَصَ، مَجذُومٍ، وَلِيُجَاوِز بَصَرُهُ حُسنَ الصُّورَةِ إِلَى قُبحِ الفِعلِ، وَلِيَعبُر مِن حُسنِ المَنظَرِ، وَالجِسمِ إِلَى قُبحِ المَخبَرِ وَالقَلبِ.

٧- فَإِن عَجَزَت عَنهُ هَذِهِ الأَدوِيَةُ كُلُّهَا لَم يَبقَ لَهُ إِلَّا صِدقُ اللَّجَإِ إِلَى مَن يُجِيبُ المُضطَرَّ إِذَا دَعَاهُ، وَلِيَطرَح نَفسَهُ بَينَ يَدَيهِ عَلَى بَابِهِ، مُستَغِيثًا بِهِ، مُتَضَرِّعًا، مُتَذَلِّلًا، مُستَكِينًا، فَمَتَى وُفِّقَ لِذَلِكَ فَقَد قَرَعَ بَابَ التَّوفِيقِ فَلِيَعِفَّ، وَلِيَكتُم، وَلَا يُشَبِّب بِذِكرِ المَحبُوبِ، وَلَا يَفضَحهُ بَينَ النَّاسِ، وَيُعَرِّضهُ لِلأَذَى، فَإِنَّهُ يَكُونُ ظَالِمًا مُعتَدِيًا. اهـ كلام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ.

٨- تَقوَى الله ﷻ، مَعَ مُرَاقَبَةِ الله، قَالَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-: ﴿ وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ بِمَفَازَتِهِمۡ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ [الزمر:٦١].

وقال الله سبحانه: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ [مريم:٧٢].

وَقَالَ اللهُ ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾ [النحل:١٢٨].

وَقَالَ اللهُ -جَلَّ فِي عُلَاهُ-: ﴿مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ أُكُلُهَا دَآئِمٞ وَظِلُّهَاۚ تِلۡكَ عُقۡبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْۖ وَّعُقۡبَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴾ [الرعد:٣٥].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴾ [لقمان:٣٣].

وقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ [الحشر:١٨].

والتَّقوى سَبيلٌ عظيمٌ، ومخرجٌ، واسعٌ من جميع المصائب، قَالَ رَبُّنَا سُبحَانَهُ:

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَـٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق:٢-٣].

٩- العِفَّةُ والتَّعَفُّفُ: وهذا عقدتُ له فصلاً مستقلاً في الكتاب لأهميته.

١٠- الصَّبرُ عن محَارِمِ الله تَعَالَى، وهذا عقدتُ له فصلاً مستقلاً في الكتاب لأهميته.

١١- تَذَكُّر العَوَاقِبِ الوَخِيمةِ المترتبةِ على العشق في الدنيا ؛ منها :

أ- أنه قد يُجَن، ويكون قد أودَى بنفسه إلى مَهلَكَةٍ عَظيمةٍ.

ب- أنه قد يَقتُلُ شخصاً ما بسببِ زَوَاجِه بِمَعشُوقَتِهِ، أو يقتلهما معاً، وهذا جُرمٌ عظيمٌ، ووبالٌ على صاحبه في الدنيا والآخرة.

ج- أنه قد لا يجدُ لذةَ العيشِ مع غيرِ المعشوق؛ إن لم يعالج نفسه قبل فَوَاتِ الأوان.

١٢- التَطَلُّعُ لمعرفةِ أوصافِ الحورِ العين[1]، وما أعده الله للمتقين في الجنة.

١٣- تَذَكُّر أن هذا الفعل محرم، والعواقب الوخيمة المترتبة على ارتكاب المحرم من الإثم والوزر، وتوابع ذلك.

١٤- عَزيمَةُ حُرٍّ يَغارُ على نفسه.

١٥- الحفاظ على منزلتِهِ عند الله تعالى، و في قلوب عباده الصالحين بترك ما يشينه.

١٦- محاولة التَغَلُّبِ على عدوهِ، وقَهرِهِ؛ وعدوه هو الشيطانُ والنفس الأمارة بالسوء.

١٧- أن يَبعِد نفسه أن يكون أهون من الحيوان، فإن منزلة العاشق، أدنى من منزلة الحيوان بطبيعة الحال.

١٨- أن يَعلَمَ المسلمُ أن جِهَادِ النفس هو أعظم جهاد، ولا سبيلَ لجهاد الكافرين، إلا بعد جهاد النفس الأمارة بالسوء؛ وجهادها بطاعة الله وترك معصيته.

هذا محصل العلاج لهذا المرض الفتاك، وقد ذكر العلامة ابن القيم في «روضة المحبين» (ص٣٨٠-٣٩١) خمسين حلًّا للتخلص من الهوى، وبالله التوفيق.

---

(١) وقد ذكرت فصلاً مختصرًا في الكتاب في هذا.

الفهرس

تقديم فضيلة الشيخ العلامة يحيى بن علي الحجوري -حفظه الله- ٣
المقدمة ٤
تعريف العشق ٩
أسماء العشق ١١
وجوب غض البصر عن الحرام وتحريم النظر إليه ١٣
وما جعل الله الاستئذان إلا من أجل البصر ١٤
فوائد غض البصر ٢٢
العفة ٢٣
وجوب الصبر عن الحرام ٣٠
الفرق بين صبر الكرام وصبر اللئام ٣١
تحريم الزنا ٣٣
أضرار جريمة الزنا ! ٣٦
تحريم العشق ٤٠
ذم اتباع الهوى ٤٧
العاشق عبدٌ لله، وليس عبدًا لشهواته ٤٨
أقسام العشق ٥١
أقسام الناس في العشق ٥٣
وصف الحور العين ٥٥
محبة الله ورسوله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- ومحبة عباد الله الصالحين ٦٤

شبهة وجوابها ٧١
صرعى عشاق الصور ٧٢
مصارع عشاق الدنيا ٧٧
علاج العشق ٨٢
الفهرس ٨٧

* * *

الإشفاق

دار الآثار
info@dar-alathar.com

حسام الدين